ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٠/ السنة التاسعة
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات / قسم الشؤون الفكرية
والثقافية / العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٠ / السنة العاشرة / ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

٤

٨ مركز القرآن الكريم ينظّم سوقاً خيرياً

١٠ شخصية الرسول محمّد ﷺ في القرآن الكريم

١٤ الرفض القرآني لعبودية التفكير

٣٢ جهاد الكلمة

٣٤ القــرآن... منطق الإمام الحسين عليه السلام في نهضة كربلاء

٣٨ واحة قرآنية

المشرف العام
م. جلال علي محمد

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل محمد

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
عامر عزيز الأنباري

محرر الأخبار
حسين علي السعدي

التصميم والإخراج الفني
زيد عبد الأمير موسى

كلمة العدد

ولادة تهب الوجود وجوداً

الخوض في ولادة رسول الله ﷺ لا بد أن يكون على درجة عالية من الوعي، فلا يتعامل معها على إنها حدث تاريخي وحسب، يؤرخ ويثبت كباقي الأحداث في الأسفار والدواوين ، لنتناولها فيما بعد على إنها مادة تاريخية تدرس وتحاضر هنا وهناك ، فحدث الولادة أكبر من أن يكون إشراقة ومضت في صفحة من صفحات الماضي، بل هي منعطف تاريخي خطير غيّر وجه الكون، وأكبر دليل يدل على خطورتها وأثرها اللامحدود على واقع البشرية يكمن فيما هيأ لها من مقدمات، وقد أعدت وفق برنامج إلهي محكم من قبل أن يخلق الله آدم، وهذه المقدمات إما سابقة على الولادة أو هي متزامنة معها تظهر عبر حركات كونية انفعالية غير مسبوقة، واختلاجات غير طبيعية تنبأ عن عظيم ما أخفت وما سوف يحصل في قادم الأيام، إذ السماء حشدت سكانها وعجت بنفير الملائكة الغلاظ، ﴿وَأَنَّا لَمَسَنا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾[1] وتحفز الملأ الأعلى صعوداً وهبوطاً من وإلى الأرض أفواجاً أفواجا، وغلت وفُرِقت الشياطين فلم يجدوا لهم مرقى يرقونه إلاّ وكان لهم فيه شهاباً رصداً يمنعهم من أن يسترقوا السمع أو يحيطوا بما يجري خبرا، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً﴾[2] واضطربت الأرض بأهلها فرأت ما رأت من الأحداث الخارقة التي تزامنت منذ اللحظة الأولى للولادة، حيث انتكست الأصنام وأخمدت نيران فارس، وخرج نور أضاء مساحة واسعة من الجزيرة العربية، وسقطت شرفات قصر كسرى وانكسر آيوانه، كل تلك الانفعالات الكونية والأحداث الخارقة تنبأ عن حركة تغيير جذري وتطهير شامل يكتسح الأرض، ويقتلع جذور الظلم الممتدة في أتون الأرض، ويضع أسس العدل فيها، ويرسم منهاجاً أمثل في التعامل الإنساني بما يضمن حفظ كرامة الإنسان وفق مشروع أصلاحي كبير.

ولد الموعود وبين يديه نوراً يمنح الوجود وجوداً، وقد أقحم الله فيه كل مظاهر الجمال والكمال فكأنه لوحة ربانية خلابة تبهر كل من نظر إليها وتملئ متأمليها بأنوار المحبة واللطافة، فلم يبق أحدٌ شهد ولادته الميمونة إلاّ وغشيه نوره الساطع، يكاد يلامس منه شغاف قلبه ويلاطف مكامن المحبة فيه، فلا يبرح عنه إلاّ وهو أحب الخلق إليه، وأكثرهم قرباً من نفسه، ولا عجب من تنبأ عبد المطلب بمستقبل هذا الوليد لما رأى من العلامات الواضحات الباهرات، وأبصر منه النور الذي يسعى بين يديه حتى قال واثقاً :(إن له شأناً عظيماً يغبطه عليه الناس)، ذاب شيبة الحمد حباً به فتعهده بما لم يتعهد أحداً من قبله ولا من بعده، وأسكب في هذا الصبي حناناً من لدنه يكاد يخجل الأم الشغوف ويحرجها بوظيفتها المقدسة، مضى الجد بعدما وضع يد الصبي المبارك بيد عمه وهو يقول :(يا عبد مناف: خلفت في يدك الشرف العظيم الذي تطاول به رقاب الناس)، وهكذا ينتقل من كنفٍ رحب إلى صدرٍ أرحب لينشأ هذا المبارك في بيت عمه موفور الكرامة عزيز الجانب حتى قال رسول الله ﷺ: (كانت فاطمة بنت أسد - زوجة عمي - تجيع أولادها وتشبعني، وتتركهم شعثاً وتدهنني، ولم يكن لدى عمي أبي طالب همّ إلا حمايتي، والاهتمام بأمري)، وبدأ الصبي يكبر، وتكبر معه آمال البشرية، وكلما تدرج فتى الدعوة في العمر بدأت معالم المشروع الكبير تتضح أكثر فأكثر، ويشتد عوده وتقوى عزيمته لينهض بأعباء الرسالة بمآزرة ومساندة أهل بيته وأصحابه الخلص الذين هيئهم الله لهذه المهمة كل بحسب وظيفته ودوره.

١- سورة الجن، الآية ٨.

٢- سورة الجن، الآية ٩.

سكرتير التحرير

مهرجان ربيع الولادة يتوّج طلبة الدورات القرآنية

تيمناً بذكرى إشراقة النورَين العظيمَين، والصادقَين المصدَقين، النبي الأكرم محمد ﷺ، وحفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية مهرجان ربيع الولادة الرابع، تحت شعار: (على صراط أحمد).

افتتحت فعاليت المهرجان المباركة بحفل تخرج طلبة الدورات القرآنية المستديمة، ومنها (القراءة التحقيقية والإجازات للنساء، وأحكام التلاوة والتجويد، والقراءة التطويرية للنساء، والتفسير وعلوم القرآن للرجال، ودورة المقامات والنغم) التي أقامها مركز القرآن الكريم، بحضور الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة، الدكتور حيدر حسن الشمّري، وأعضاء مجلس الإدارة، ومسؤولي المؤسسات القرآنية ونخبة من أساتذة القرآن الكريم وقرّائه، وطلبة الدورات القرآنية وجمع غفير من زائري الإمامين الجوادين عليهما السلام.

استُهلّ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تلاها أحد طلبة دورة أنغام الطريقة العراقية القارئ حسين محسن، بعدها جاءت كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ألقاها الأمين العام للعتبة بيّن فيها قائلاً: (ونحن نعيش أيام مهرجان ربيع الولادة بمناسبة ذكرى ولادة فخر الكائنات وسيد المخلوقات رسول الله محمد ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، نلتقيكم اليوم على مائدة القرآن الكريم للاحتفاء بتخرج دوراتنا القرآنية يسرنا أن نهنئكم بهذه المناسبة الكريمة في رحاب الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام مع الدعاء لكم بمزيد من التشرف بخدمة كتاب الله العزيز.

وأضاف: من منطلق المسؤولية كرست الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة جهودها لتوفير مناخات مناسبة لتعليم القران الكريم وتوسيع نشاطاته والحرص على نشر الثقافة القرآنية بين شرائح المجتمع رجالاً ونساءً وفتياناً وفتيات من خلال مركز القران الكريم واستقطاب الأساتذة الأكفاء وفتح

الدورات القرآنية لتشمل جميع الفئات العمرية وهو من أولوياتنا كونه (يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين).

فلا يمكننا أنْ نحافظ على مجتمعنا إلا من خلال الرجوع إلى الله تعالى، رجوعاً حقيقياً تتجسد فيه تعاليم الشريعة المقدسة، وخصوصاً في مثل هذه الظروف الاجتماعية المعقدة واستفحال الغزو الثقافي. وتقع المسؤولية علينا جميعاً في تحصين أبنائنا وبناتنا من ذلك، فاجتماعنا في رحاب القرآن وأهل البيت «عليهم السلام» يجب أن لا ينحصر في زمان معين أو مكان معين، أو على جهةٍ معينةٍ، بل على الجميع أن يبذل جهده جادًّا وبكلّ اجتهاد من أجل الحفاظ على المجتمع.. لذلك أُحيّي ذلك الجمع الكريم من المعلمات والمعلمين والطلبة الذين تجمَّعوا في هذه الرحاب القدسية، وأبارك لكم تخرجكم، فهنيئاً للمعلم والطالب عندما نقرأ حديث النبي الأعظم محمد ﷺ بحقهما قائلا: (مُعَلِّمُ القُرْآنِ وَمُتَعَلِّمُهُ يَسْتَغْفِرُ لهُ كُلُّ شيءٍ حتى الحوتُ في البَحْرِ).. أسجل الشكر والثناء للمعلمات والمعلمين والقراء وجميع القائمين على هذه النشاطات المباركة الذين خصصوا ساعاتٍ من حياتهم لخدمة كتاب الله العزيز من أجل تعليم بناتنا وأبنائنا وأخواتنا وإخواننا فجزاهُم الله خير جزاء المحسنين). وكانت هناك كلمة لمركز القرآن الكريم ألقاها مديره الخادم عمار الموسوي أشار خلالها إلى دور مركز القرآن الكريم وهو يقطف ثماره محتفياً بطلبته من خلال دوراته التخصصية المستديمة بإشراف أساتذة أكفاء.

وها نحن اليوم نحتفي بثلّة طيبة من طلبتنا الأعزاء، إذ بلغ عدد المتخرجين من دوراتنا القرآنية التخصصية أكثر من (١٥٠) طالباً ومن كلا الجنسين.

كما شهدت فعاليات الحفل مشاركة للطالب مهدي محمود بتلاوة قرآنية مباركة، بعدها مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين إذ صدحت حناجرهم بقصيدة عنوانها: (كلمات الله حياة)، واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على أساتذة الدورات وطلبتها من بركات الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

مركز القرآن الكريم

يجري اختبارات مسابقة حفظ زيارة عاشوراء المباركة

اقتداءً بحديث إمامنا جعفر الصادق عليه السلام في فضل زيارة عاشوراء وما لها من أهمية: (يا صفوان كلما كانت لك حاجة عند الله توجه إليه تبارك وتعالى بقراءة هذه الزيارة والدعاء بعدها في أي مكان كنت، واطلب حاجتك فإن الله لا يخلف وعده)، وترسيخاً للمفاهيم التربوية والأخلاقية في نفوس الناشئة والأجيال الفتيّة، أجرت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ مركز القرآن الكريم اختبارات لأكثر من (٣٠٠) متسابق من البنين والبنات في مسابقة حفظ زيارة عاشوراء المباركة، وفق لوائح تحكيم مخصصة لتوزيع الدرجات بطريقة منصفة. وتألفت اللجنة التحكيمية من: الدكتور القارئ رافع العامري، والقارئ السيد عبد الكريم قاسم، والقارئ الحاج همام عدنان، والقارئ فراس الطائي.

وتسعى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال هذه الجهود المباركة إلى زرع الثقافة الحسينية وتعزيز القيم الأخلاقية الرفيعة لدى أبناء المجتمع وترجمتها قولاً وفعلاً، انطلاقاً من قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً)، والحرص على تنشئة جيل لا يحيد عن العقيدة الإسلامية السامية، وينهل من معين فكر الأسوة الحسنة، النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام.

إطلاق مبادرة توزيع المستلزمات المدرسية إلى طلبة الدورات الصيفية

قبيل اختتام دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية الصيفية الحادية عشرة التي أقامها مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، وفي خطوة تعكس مدى الاهتمام الذي توليه الأمانة العامة في رعايتها للمواهب القرآنية الفتية من البنين والبنات، باشرت ملاكات مركز القرآن الكريم بمبادرة إهداء مجموعة من القرطاسية والمستلزمات المدرسية لطلبة الدورة الصيفية، وتهيئتهم لاستقبال العام الدراسي الجديد، والإسهام في توفير بيئة تعليمية ودراسية لأبناء هذه الدورات.

ويهدف هذا النشاط التربوي للأمانة العامة إلى احتضان تلك البراعم باعتبارها اللبنة الأساس في بناء الأسرة والمجتمع، فضلاً عن تحقيق أهداف رسالتها الإنسانية السامية.

إجراء اختبارات دورة أحكام التلاوة والتجويد

تحرص الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة على رعاية المسيرة القرآنية المباركة، وتنمية الوعي القرآني والاهتمام بتنشئة جيل واعٍ متسلح بالإيمان تُغرس فيه المبادئ الإنسانية والمفاهيم الأخلاقية وحبُ كتاب الله تبارك وتعالى، لتتمثل تلك الجهود في هيأة دورات ونشاطات قرآنية، إذ أجرى مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، اختباراً لطلبة دورة أحكام التلاوة وتجويد القرآن الكريم، بإشراف القارئ الدكتور رافع العامري، وذلك سعياً للارتقاء بمستوى الحفظة والمشاركين فيها من خلال تدريبهم على أحكام التلاوة، وتصحيح الأداء القرآني، وتعليمهم قواعد التجويد وبيان مخارج الحروف وصفاتها وتعليمهم الوقف والابتداء لتكون تلاواتهم خالية من الأخطاء.

كما إنّ الدورة اعتمدت منهجاً أكاديمياً وعلمياً تُمكّن المتخرج منها بتفوق - بعد اجتيازه الاختبارات والامتحانات والتقييم النهائي- أن تكون لهُ القابلية على تدريس طلبة الدورات القرآنية الأخرى، فضلاً عن تنمية قدرة الحافظ وصقل مواهبه ليتسنى لهُ المشاركة بكل ثقة في المسابقات والمحافل القرآنية المحلية والدولية.

وفد من حافظات القرآن الكريم يُلبّي دعوة المركز القرآني في العتبة الحسينية المقدسة

تشرّف وفد معلمات وحافظات مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة بزيارة سيد الشهداء الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام، وشهد البرنامج زيارة مركز القرآن الكريم التابع إلى العتبة الحسينية المقدسة، وإقامة مجموعة من الفعاليات والأنشطة كان من أبرزها محفل ترانيم السماء القرآني بمشاركة الحافظات من المركزين.

وتهدف هذه الدعوة المباركة إلى تعزيز العلاقات القرآنية بين الحافظات، وتنمية تلك المواهب، وتبادل الخبرات، والارتقاء بقدراتهن القرآنية.

إقامة جلسات قرآنية شهرية متواصلة بالتعاون مع هيأة الحشد الشعبي

تواصل الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ مركز القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية، وبالتعاون مع هيأة الحشد الشعبي/ مديرية التوجيه العقائدي، عقد الجلسات القرآنية الشهرية المباركة وقد شهدت هذه الجلسات استضافة عدد من المقاتلين القرّاء، إذ صدحت حناجرهم بتلاوات قرآنية مباركة تعطّرت بها أجواء الصحن الكاظمي الشريف أهدي ثوابها إلى أرواح شهداء العراق، لتُختتم الجلسة بقراءة دعاء الفرج تعجيلاً لظهور القائم من آل محمد المهدي المنتظر « أرواحنا لمقدمه الفدا".

ومن الجدير بالذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تواصل رعايتها للعديد من النشاطات والفعاليات الداعمة لمقاتلي فتوى المرجعية الرشيدة في الدفاع الكفائي، فضلاً عن التزامها بوصاياها وتوجيهاتها السديدة الحاثّة على إدامة زخم المواجهة المقدسة والحفاظ على السجل المشرّف لهم.

اجتماع لبحث تطوير مناهج الدورات القرآنية

انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ: (أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن)، ومن أجل الارتقاء بالنشاطات القرآنية ودوراتها المختلفة عُقد في مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة اجتماع بحضور رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية فضيلة الشيخ عَدِي الكاظمي، مع مدير المركز، والمعلمين والمعلمات في دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام الصيفية.

وبحث الاجتماع موضوع تطوير المناهج التعليمية المقررة للدورات، وبالخصوص الدورة القرآنية الصيفية، استعداداً للمواسم القادمة مع العناية باستخدام طرائق التدريس النموذجية والأساليب الحديثة مع جميع الفئات العمرية والدراسية. كما أكد المجتمعون على الاهتمام بالجانب التربوي للطلبة وتأكيد دروس السيرة والفقه والعقائد والأخلاق، ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم، والإحاطة والتعريف بأهم المسائل والأحكام والواجبات الشرعية.

ويرافق تلك الجهود المباركة المتابعة الحثيثة والمستمرة للأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وحرصها على توفير كلّ وسائل الدعم والرعاية اللازمة للمسيرة القرآنية التي تشهدها العتبة الكاظمية المقدسة، وتعزيز الوعي القرآني والعمل بنهجهِ القويم.

توسيع دائرة نطاق الدورات القرآنية الصيفية

تواصل الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة دعمها للنشاطات ورعايتها للمواهب القرآنية الفتية، وترسيخ مرتكزات تلك الثقافة على خطى منهج أهل البيت عليهم السلام، إذ نظّم مركز القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الكاظمية المقدسة وبالتزامن مع عيد الولاية الأكبر الغدير الأغر دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية الصيفية في جامع وحسينية المصطفى في منطقة جسر ديالى.

وشهد منهاج الدورة الصيفية دروساً مكثفة في حفظ القرآن الكريم، وتعليم تلاوته وأحكامه، ودروس في سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، والإحاطة والتعريف بأهم المسائل والأحكام والواجبات الشرعية، وتعليم الصلاة، والوضوء وأصول الدين وفروعه، وفقاً لمناهج مركز القرآن الكريم العلمية المقررة والمعتمدة في دوراته، كما سيتخلل البرنامج جولات ترفيهية وزيارة للمراقد والعتبات المقدسة، وتوفير جميع مستلزمات نجاح الدورة.

من الجدير بالذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية تسعى من خلال هذه البرامج التنموية إلى الاهتمام بكتاب الله عزّ وجل واحتضان البراعم لتحصينهم فكرياً وعقائدياً، وتوفير الرعاية اللازمة لهم واستثمار أوقات فراغهم في العطلة الصيفية بما ينفعهم ويرتقي بهم، وتجذير المفاهيم الإسلامية والإنسانية والتطلّع إلى انعكاسها ايجابياً في حياتهم المدرسية والبيتية وبناء المجتمع.

مركز القرآن الكريم ينظّم سوقاً خيرياً لدعم برنامج يد الخير

تيمناً بالذكرى العطرة ليوم الإعلان عن مقام الإمامة الإلهية لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وغمرة الاحتفالات بعيد الله الأكبر الغدير الأغر، وعلى بركة الله تعالى افتتح نائب الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة المهندس سعد محمد حسن، السوق الخيري بنسخته الثانية الذي نظّمه مركز القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة المقدسة، وقد خصص ريعه بالكامل لبرنامج «يد الخير» الإنساني لإعانة العوائل المتعففة، وبمشاركة كوكبة طيبة من طالبات المركز.

وضمت أروقة السوق الخيري عرض مجموعة متنوعة من الملابس والمفروشات والأدوات المنزلية والأعمال اليدوية، والكتب والمؤلفات، وتعدّ هذه الخطوة المباركة ترسيخاً لمفهوم التكافل الاجتماعي ومساعدة الناس انسجاماً مع وصايا أهل البيت عليهم السلام.

مركز القرآن الكريم يشارك في فعاليات مسابقة السفير القرآنية الوطنية

توكيداً لنهج الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، الداعم والفاعل في المشاركة بجميع الأنشطة والمهرجانات القرآنية المُقامة في بغداد والمحافظات، شارك وفد مركز القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الكاظمية المقدسة في فعاليات مسابقة السفير القرآنية الوطنية الحادية عشر للحفظ والتلاوة التي أقامتها أمانة مسجد الكوفة المعظّم والمزارات المُلحقة به، والتي حضرتها وفود العتبات المقدسة والمزارات الشريفة وعدد من ممثلي الدور والمؤسسات القرآنية.

وتجدر الإشارة أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية تحرص على حضور هذه الفعاليات والمسابقات القرآنية، وتؤكد من خلال مشاركتها تعزيز الثقافة القرآنية بين الأوساط المجتمعية، وتوطيد روابط التواصل مع مراكز القرآن الكريم في العتبات المقدسة والمزارات الشريفة والمؤسسات القرآنية، لأجل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى وخدمة كتابه العزيز، فضلاً عن طموحها المتواصل في دعم المواهب القرآنية في المؤسسات العلمية والأكاديمية، ورعايتها وتشجيعها للمشاركة والمنافسة لأجل أن يمثّلوا العراق في المحافل المحلية والدولية.

تنظيم دورة تعليم أساليب الحفظ

تُعدّ الدورات والورش التخصصية أحد العناصر المؤدية إلى تكوين بيئة عملٍ مثالية، لذا سعت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة إلى تطوير قدرات ومهارات ملاكاتها، لا سيما القرّاء وحفظة القرآن الكريم، لارتباطها الوثيق بآلية العمل وتنظيمه باتجاه تحقيق الأهداف. لذا فقد نظّم مركز القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة المقدسة دورة تعليم أساليب الحفظ التي حاضر فيها الأستاذ الحافظ (قاسم حامي السراي).

وتهدف هذه الدورة التخصصية إلى تأهيل الطاقات التدريسية في المركز من خلال إدخال برامج وأساليب تدريبية متطورة في الحفظ والتلقي، وإكساب المشاركين مهارات حديثة تُسهم في تنمية البيئة التعليمية القرآنية وتطويرها، وإدارة دورات الحفظ التي تقيمها العتبة الكاظمية المقدسة ضمن نهضتها القرآنية المباركة، من أجل إعداد أصوات جديدة، وقرّاء وحفظة مجيدين يخدمون الساحة القرآنية للمشاركة في المسابقات والمحافل القرآنية المحلية والدولية.

شخصية الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله

في القرآن الكريم

د. عمَّار حسن

أخذت شخصية نبيِّنا محمَّد ﷺ مساحةً واسعةً من الخطاب القرآني، انطوت على التعريف بهذا المخلوق الفريد من جوانب متعددة، فكشفت عن سمات شخصية ونفسية وعاطفية عنده ﷺ، بمفاهيم غاية في الروعة الخلقية والأناقة البلاغية، حتَّى أضحى كالهالة المشعة في مضامين القرآن النورانية، وصار يعلو على كلِّ الفضائل متمثِّلًا بجواهرها ومفاهيمها العالية، فكان حقيقة الخلق القويم بأوضح تجلياته المحسوسة، ونحن في هذه العجالة سنسلط الضوء على بعض ما ورد من آياتٍ تتعلق بالرسول محمَّد ﷺ، وسنبدأ بالآيات التي تناولت أسماءه الشريفة، ومنها اسمه (محمد) الذي ورد في عدة آياتٍ منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[2]. ومن أسمائه الواردة في القرآن (أحمد) الذي جاء على لسان النبي عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[3]، وهناك من جعل من (طه، يس) أسماءً له ﷺ، وقد ورد (طه) في قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[4] ، وأمَّا (يس) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[5].

١- سورة آل عمران، الآية ١٤٤.
٢- سورة الأحزاب، الآية ٤٠.
٣- سورة الصف، الآية ٦.
٤- سورة طه، الآية ١-٢.
٥- سورة يس، الآية ١-٢.

أمَّا الآيات التي تناولت بعض صفاته الخلقية، فيمكن أن نأخذ منها قوله تعالى:﴿وَما أَرسَلناكَ إِلّا مُبَشِّرًا وَنَذيرًا﴾[٦]، فالرسول ﷺ كان مبشِّرًا لقومه بخير الدنيا والآخرة فيما لو اتبعوا رسالته والدين الذي جاء به من الله تعالى، ونذيرًا لأمَّة من عقاب الله تعالى الذي يؤدِّي إلى الخسران المبين فيما لو أعرضوا عمَّا أتى به من الله تعالى.

ووصفه أيضًا بالسراج المنير، وهو الذي يضيء لمن حوله بالدعوة إلى الله تعالى؛ ليخرج قومه من الظلمات إلى النور، فيضيء لهم طريقهم إلى الله تعالى، ويبسط لهم بخلقه القويم مسارات السلوك إلى الله تعالى بالطرق المعبَّدة البعيدة عن كلِّ المزالق والصعاب، ووصفه أيضًا بالدَّاعي إلى الله في قوله تعالى:﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّـهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٧]، وبالخلق القويم في قوله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٨].

ومع هذا الخلق العظيم، وصفه بالرأفة والرحمة، فقال تعالى:﴿لَقَد جاءَكُم رَسولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ﴾[٩]، وكان رسول الله ﷺ ليّن القلب، سلس اللسان مع أصحابه حتَّى أنَّهم كانوا متمسكين به ملتفين حوله قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[١٠].

فرسولنا بتعبير القرآن كتلةٌ من الخلق الإلهي والرحمة الإلهية والرأفة الربّانية، وهذا ما جعله يُغيّر العالم إلى نحو الدعوة إلى الله تعالى حتَّى تكونت نتيجة دعوته إنشاء دولة إسلامية كبرى، وكل ذلك مرده إلى الصناعة الإلهية لهذا المخلوق العظيم .

وهناك آيات قرآنية يواسي بها الله تعالى نبيَّه الكريم على ما لاقاه من عتاة قومه الكافرين. ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾[١١]، والبخع: قتل النفس غماً. وهنا يلاطف الحق سبحانه نبيَّه الكريم على تأسفه القاتل نتيجة عدم إيمان قومه بما أتاهم به، ولذلك نهاه رأفةً به عن أن تذهب نفسه حسرات عليهم فقال تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[١٢].

وبهذه الصورة القرآنية الوهاجة صار رسول الله ﷺ قدوةً في كلِّ شيء، وعلى جميع المستويات الخلقية، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بقوله:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[١٣].

ومن هنا فعلينا إعادة النظر بشخصية رسول الله ﷺ القرآنية لنحذو حذوها ونكون على الجادة السليمة، ونبتعد عمَّا كتبته الروايات المغرضة في حقِّه ﷺ، وخصوصًا ما جاء في كتب العامة من الإساءات لرسول الله ﷺ من قبيل سماعه للمزامير أو عدم احتشام أزواجه أمام الأجانب، أو ردِّه للسائل بتعبيس الوجه منه وإقباله على الأغنياء وأصحاب المواقع العالية، وغير ذلك من الإساءات، فكلُّ ذلك محض افتراء؛ لأنه يتنافى مع روح القرآن الكريم التي وصفت رسول الله ﷺ بأقدس الأوصاف، وكيف يكون كذلك والقرآن ينصُّ على أنَّه يهدي إلى الحقِّ وذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٤].

وما تقدَّم من بيان لصفات الرسول القرآنية هو غيض من فيض، نأمل من الإخوة الباحثين النظر فيها واكتشاف رسول الله ﷺ قرآنيًّا، فالقرآن أصدق ناطق في التعريف به.

٦- سورة الإسراء، الآية ١٠٥.
٧- سورة الأحزاب، الآية ٤٦.
٨- سورة القلم، الآية ٤.
٩- سورة التوبة، الآية ١٢٨.
١٠- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
١١- سورة الكهف، الآية ٦.
١٢- سورة فاطر، الآية ٨.
١٣- سورة الأحزاب، الآية ٢١.
١٤- سورة الشورى، الآية ٥٢.

الحلقة الأولى

التراب مادة خلق الإنسان في ضوء القرآن الكريم والعلم

بقلم: سياريف هدايت أمر الله، قسم الأحياء، كلية العلوم والتكنولوجيا (اندونوسيا).

المصدر: مجلة الإسلام والعلم، المجلد ٩، العدد ١، كانون الثاني-حزيران عام ٢٠٢٢.

◆ ترجمة (بتصرف): رياض عبد الغني الحسن

يعدّ الحديث عن البشر موضوعاً شائقاً يستهوي الدارس والباحث. وقد أنتجت الدراسات الخاصة بهذا الموضوع مختلف النظريات ومجالات البحث. ومع كل هذا، نجد أن من الغريب أن دراسة الإنسان تبقى محاطة بالألغاز لا تكتمل ولا تنتهي مباحثها. وواحد من أوجه دراسة الإنسان الشيقة والذي كتبت فيه البحوث الكثيرة هو خلق الإنسان. غالباً ما تطرح أسئلة تخص خلق الإنسان ويجري نقاشها، ومن بينها: من كان الإنسان الأول، وممّ خُلق، وكيف، وما نوع خلقه؟ إلى جانب اسئلة مثل: ما الفرق بين نموذج خلق الإنسان الأول والبشر الذين جاؤوا بعده أو البشرية بصورة عامة. لكي نجيب على تلك الأسئلة علينا الحصول على معلومات متنوعة.

ستكون دراسة خلق الإنسان أمراً شائقاً جداً إذا نظرنا إلى هذه الأسئلة من منظورين عرف عنهما اختلاف في الرؤية لم يتوصلا إلى نقطة مشتركة، وهما منظور القرآن الكريم ومنظور العلم. فيرى علماء الغرب أن الإنسان انحدر من القرد، ثم من خلال الانتخاب الطبيعي مسندين وجهة نظرهم إلى نظرية داروين. وظلت هذه النظرة الغربية بين أخذ وردّ ما بين العلماء والباحثين، ورفضها المتدينون بشدّة، ذلك لأن المتدينين -والمسلمين منهم خاصة الذين يهتدون بهدي القرآن الكريم-يعتقدون أن الإنسان الأول كان النبي آدم عليه السلام.

ومثلما خلقه الله تعالى من التراب، وليس من أسلاف من القردة، فقد خلق بقية البشر بعد آدم من خلال نطفة أمشاج امتزجت من الحيمن والبويضة واستودعت في رحم المرأة، ثم تحولت إلى قطعة من دم ثم إلى قطعة من اللحم، ثم نمت فيها العظام ثم اكتست العظام باللحم ثم نفخت فيها الروح. وحتى مع ورود معلومات خلق الإنسان في القرآن الكريم، فلا يعني بالضرورة أن يكون رأي المتدينين بطريقة خلق الإنسان واحداً. ذلك أنه اتّضح أن المعلومات المستقاة من القرآن الكريم منوعة فهي تبين خلق الإنسان نفسه، مثل خلق النبي آدم عليه السلام الذي يختلف عن خلق حواء ويختلف عن خلق عيسى عليه السلام، ويختلف عن خلق الإنسان بصفة عامة.

إضافة إلى عدم ذكر القرآن الكريم مسألة خلق الإنسان الأول بالتفصيل، فإنه يستخدم في معرض ذكره لمواد خلق الإنسان أوجهاً متنوعة. فتذكر بعض الآيات أن الإنسان قد خلق من ماء، ومن علقة، ومن ماء دافق، ومن ماء مهين، ومن نطفة أمشاج، وتقول بعض الآيات أيضاً إن الإنسان خلق من التراب، والتعبير عن ذلك بأكثر من لفظ. وبسبب هذا التنوع في المعلومات، نرى أن الشائق في هذا البحث أننا سنحصل على معلومات دقيقة وواضحة تعطي خيطاً مشتركاً يصف خلق الإنسان الأول ومن جاء بعده.

المواد والأساليب

يتصف هذا البحث في هذه الدراسة بأنه بحث نوعي يستخدم أسلوب البحث المكتبي، وهو الأسلوب الذي يكتب به الباحثون بحوثهم عن طريق جمع مادة متنوعة من المصادر ودراستها، وكلها تخص خلق البشر من منظوري القرآن الكريم والعلم، إضافة إلى مصادر المكتبات التي تبحث الأمور نفسها. والمصدر الأول لهذه الدراسة هو القرآن الكريم، وبالخصوص الآيات التي تذكر خلق الإنسان من التراب التي بُحثت وفقاً لموضوعاتها.

النتائج والمناقشة

المنظور القرآني في خلق الإنسان

المصطلح القرآني في ذكر الإنسان

يرد ذكر الإنسان في القرآن الكريم بألفاظ عدّة. وتحمل معاني مختلفة. فقد وجدنا أن في القرآن أربعة ألفاظ تشير إلى معنى الإنسان، وهي: البشر، الناس، الإنس، الإنسان. على أنه وفقاً لما يذكره معظم أئمة التفسير، فإن ذلك يقع في ثلاث مجاميع، وهي: البشر، الإنسان، وبنو آدم أو ذرية آدم.

كلمة (البشر) تركز على الأعراض العامة الموروثة في جسم الإنسان التي يشترك بها جميع الناس نسبياً وبصفة عامة. ووردت كلمة البشر في القرآن الكريم ٣٧ مرة. إحدى الكلمات وردت في الآية ١١٠ من سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾ تبين الجملة أن النبي محمد ﷺ لم يكن مختلفاً من حيث الجسم عن البشر الآخرين بصفة عامة الذين لهم يدان وقدمان ورأس وجوارح أخرى وجميعهم يمارسون الفعاليات الجسمانية مثل الشرب والنوم.

وعليه، فإن استخدام كلمة (البشر) هنا تعني الإنسان بجسمه (الأجزاء المادية منه). وهذا هو سبب اعتراض الملائكة على جعل الانسان خليفة كما في سورة البقرة/ الآية ٣٠، ورفض الشيطان السجود لآدم عندما أخبر الله تعالى الملائكة عن خلق (بشر) من طين كما ورد في سورة ص/ ٧١. ذلك لأن الشيطان لا يرى آدم إلا من مظهره المادي ومن نشأته من التراب الذي يحسبه أدنى مرتبة من نفسه التي خُلقت من النار.

الإنسان والإنس والناس والأناس

لكلمة (إنسان) ثلاثة جذور: (١) من الفعل (أنس) التي يعني الرؤية والعلم بالشيء (٢) من الفعل (نسي) الذي يشير إلى النسيان (٣) من (الأنس) الذي هو ضد الوحشة.

ويرى العلامة أحمد بن زكريا في كتابه (معجم مقاييس اللغة) أن جميع الاشتقاقات من الأحرف (الألف والنون والسين) تحمل معنى مركزياً يشتمل على معنى الأنيس والمنسجم والمرئي. وهذان الوصفان لهما جوهر واحد يفيد بأن الكائن الذي يسمى بـ(الإنسان) يظهر بصفاته الوادعة، لكن من الواضح أن خلقه يحمل إمكانية الالتزام بالأحكام أو مخالفتها فيكون بذلك إما مخلوقاً ذا ألفة أو فوضوياً. وقد وردت كلمة (الإنسان) ٦٥ مرة.

وقد أشارت بعض التفاسير أن كلمة (الإنسان) استخدمها القرآن الكريم ليشير إلى ذلك الكائن بكليته روحاً وجسداً. لهذا عندما يقدم الله تعالى هذا الكائن على أنه أفضل خلقه يستخدم دائماً لفظ (الإنسان) الذي لا ينطوي خلقه على العنصر المادي فحسب، بل هو يتميز بالقدرات. كما ورد في الآية /٤ من سورة التين، والآية ١١ من سورة السجدة. في حين أن كلمة (الإنس) لا ترد إلا مقرونة بكلمة (الجن) حيث يكون ورودها في معرض المقارنة. فالأنس والجن مخلوقات خلقها الله تعالى لتعبده في هذه الدنيا. أما (الناس) فهم مجموع (الإنسان) بصفتهم كائنات اجتماعية وجاءت الإشارة إليهم ٢٤٠ مرة.

بنو آدم

تشير كلمة (بنو/بني آدم) في هذا السياق إلى جميع البشر المنحدرين من النبي آدم ﷺ بدون استثناء.

أصناف الإنسان من حيث الخلق

الحديث عن أصناف الإنسان من حيث الخلق يقع في ثلاثة أصناف، وهي: (أ) خلق الله سبحانه وتعالى بشراً من غير أب وأم، كما هو الحال في خلق آدم (ع) وحواء. (ب) وهناك بشر خلقه الله تعالى من أم لكن من غير أب، كما هو الحال في نبي الله عيسى ﷺ. (ج) وهناك من خلقه الله تعالى من آباء وأمهات كما هو الحال في سائر البشر بصفة عامة.

فأول نموذج في خلق الإنسان كان من غير أب وأم ودون الاستعانة بالعمليات البايولوجية كما هو الحال في نبي الله آدم ﷺ. فوفقاً لما يقوله القرآن الكريم، كان خلق آدم ﷺ بمجرد مقولة (كن فيكون). ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران/الآية ٥٩).

أما النموذج الثاني من خلق الإنسان، فهو نموذج نبي الله عيسى ﷺ، فقد خلقه الله تعالى من أمّ فقط دون وجود أب. ويبين القرآن الكريم أن خلق عيسى ﷺ يشبه خلق آدم ﷺ الذي هو النموذج الأول. وقد جاء هذا في الآية ٥٩ من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ في حين أن الصنف الثالث من حيث الخلق هو ما يشمل البشرية عامة، ذلك الذي يجب أن يمر من خلال عملية بايولوجية تتضمن التحام حيمن الأب ببويضة الأم. هذا النموذج الثالث أخبر عنه القرآن الكريم بأن البشر قد خُلق من نطفة أمشاج كما ورد في سورة الإنسان الآية/٢: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ..﴾ هذا النموذج الثالث من خلق الإنسان يكون عبر مراحل، فيبدأ باجتماع الرجل والمرأة. ومن خلال العلاقة البايولوجية، يحصل الامتزاج في النطفة؛ الحيمن الذكري ببويضة الأنثى. ومن هذا الامتزاج يحصل الالتحام، ثم تتحول النطفة إلى قطعة من دم (علقة)، ثم إلى قطعة من لحم (مضغة)، ثم إلى عظم، مختزن في (قرار مكين) وهو الرحم ولمدة محددة تنتهي بولادة الطفل. (سورة المؤمنون،الآيات/ ١٢-١٤ وسورة الحج، الآية/٥).

مواد خلق الإنسان وفقاً للقرآن الكريم

يقدم لنا القرآن الكريم بعضاً من المعلومات التي تخص مادة خلق الإنسان.

خلق البشر من الماء. نجد هذه المعلومات في الآية ٥٤ من سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ويعزز معلومة خلق الإنسان من مواد الماء الآية ٣٠ من سورة الأنبياء عندما تذكر الآية أن جميع الأحياء خلقت من ماء. فالماء وفقاً لهذه الآية، عنصر جوهري في جسم الإنسان.

وتبيَّن وفقاً لنتائج البحث أن جسم الإنسان يتكون من محتوى مائي نسبته ما بين ٥٤-٧٠٪.

الإنسان خلق من ماء مهين. جاء ذلك في سورة المرسلات، الآيات/ ٢٠-٢٢. ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

الإنسان خلق من نطفة أمشاج (خليطة). جاء ذلك في سورة الإنسان، الآية/٢. ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ..﴾ وفي آية أخرى، يستخدم القرآن عبارة «من منيّ يُمنى».

الإنسان خلق من علق (قطعة من الدم). نجد هذه المعلومة في سورة العلق، الآية/٢ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾

الإنسان خلق من التراب. نجد هذه المعلومة في سورة السجدة، الآية/٧ ﴿...وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾.

قد تبدو المعلومات الخاصة بمادة خلق الإنسان غير واضحة لأنها مختلفة في مدلولاتها، إلا إنها غير متناقضة، فهي تشبه لغز الصورة المقطعة التي يكمل بعضها بعضاً وتبين مراحل الخلق في الإنسان من البداية. وإذا أجرينا تحليلاً للآيات استنتجنا أن المادة الأولية في خلق الإنسان هي التراب كما ذكرتها الآية السابعة من سورة السجدة التي ذكرت أن الله تعالى بدأ خلق الإنسان من طين. أما الآية ٥٤ من سورة الفرقان التي تذكر خلق الإنسان من الماء فتعني أن الماء أحد العناصر التي يستخدمها الله تعالى إلى جانب التراب. ولهذا فإن الوجه الذي يستخدمه الله تعالى بتسمية التراب على أنه المادة الأساسية في خلق الإنسان هو (الطين) الذي هو يمثل التراب المبلل أو التراب المختلط بالماء. وفي الآية ٢٦ من سورة الحجر أيضاً ورد النص «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ (بالإشارة إلى آدم) مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ» وهو الطين المسوّد من مجاورة الماء، ويشير إلى دخول جزيئات الماء في عملية تشكيل الجزيئات الداعمة للعمليات الحياتية.

نكتفي بهذا القدر من المقال لضيق المقام وله تتمة في الحلقة الثانية إن شاء الله.

الرفض القرآني لعبودية التفكير

إنّ الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز يريد من الإنسان أن يجعل من العقل ميزاناً لبلوغ الهداية وتصديقه لأنبيائه ورسله، ودليلاً يبلغ به الحكمة في صحة الرأي المعتقد، فالعقل هو المخلوق الذي يميزه الله عن باقي مخلوقاته في الأرض، فلا يرضى له عبودية التفكير، فيكون أسيراً لظنونه وأهوائه أو ضحيةً للأساطير والخرافات، أو منقاداً لأوهام الأسلاف الماضين رغم تخبطهم وضلالهم، أو عبداً أسيراً لشياطين الجن والإنس، بل يحيا حراً نبيهاً يحسن خياراته فيما يؤمن أو يعتقد به.

◆ عامر عزيز الأنباري

الشعور بالنقص هو أول النقص

إن من دواهي ما يصيب السلوك البشري ويؤدي بالمرء إلى التخبط والضلال هو عقدة الشعور بالنقص، وانعدام حرية التفكير العقلائي المتزن، وهذا هو أول النقص الذي يؤدي به إلى العبودية والانقياد دونما شعور إلى سطوة الآخرين، وهو خلاف ما أراده الله تعالى للإنسان من التعقل والاتزان، والتحلي بالثقة بالنفس، وعدم الانهزامية.

إن الشعور بالنقص يترك ذهن المرء فراغاً يسمح بهيمنة الآخرين، ويمنحهم القدرة على اللعب بمشاعره وطبيعة تفكيره, وهذا النوع من الأمراض النفسية قد لا يقتصر على أفراد، بل قد تصاب به جماعات وأمم. وقد أصيب بنو إسرائيل في عهد موسى عليه السلام بهذا النوع من الدونية في الشعور والإحساس الدائم بالنقص، فربما كان لهيمنة فرعون وهامان وجنودهما أثره الكبير على ذلك بعدما اتخذوهم عبيداً يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. وبرغم كل ما قدمه لهم موسى من دلائل وبراهين وانتصاره لهم وإنقاذه إياهم بانفلاق البحر وعبورهم، وإغراق عدوهم في اليم بإرادة الله تبارك وتعالى، إلا أن ذلك الشعور المتدني بالنقص والعبودية ظل ملازماً لهم وعالقاً في نفوسهم، وتسبب لهم بعقدة التمرد على نبيهم والتيه والضلال وانعدام سلامة التفكير والعقلائية. والقرآن الكريم يشير إلى ذلك حينما مرّوا على أناس يعبدون أصناماً عاكفين عليها، فطلبوا من موسى شيئاً مماثلاً ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1].

التقليد الأعمى تخبطٌ بغير رشد

التقليد الأعمى تخبّطٌ بغير رشد، وهو أسوأ أنواع التقليد فتقليد الصلحاء واتخاذهم أسوة حسنة هو مما يأمر به الله تعالى خصوصاً في اتخاذ النبي الأكرم ص والأخيار من آل بيته عليهم السلام عنواناً سامياً وقدوةً حسنةً ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

١ سورة الأعراف، الآية ١٣٨.
٢ سورة الأحزاب، الآية ٢١.

أما الاتباع العشوائي للآخرين فهو اتباع مجرد من الشعور والوعي وخال من التفكير السليم، وعبودية له دون تحديد ما هو صح عما هو خاطئ، وإنما هو مجرد اتباع لمن يمتلك قيمة أعلى في نظر التابع. وأمثال هؤلاء هم الشريحة الأخطر والأكثر ضرراً على المجتمعات، فنجدهم كما يصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣)

ويصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام في أحد خطبه بأنهم (همج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)(٤).

مطاوعة أئمة الباطل على باطلهم!

يشير القرآن الكريم إلى نمط آخر من أنماط العبودية في التفكير السلبي، فهنالك من تجدهم يعرفون الحق وجانبه، إلا أنهم يتبعون من لديهم القدرة والغلبة كاتّباع العبيد لساداتهم، واتّباع عوام الناس لملوكهم وأمرائهم، على الرغم من علمهم بأنهم على باطل، فهم يعرفون تماماً موضع الحق وأهله، إلا أنهم يطاوعون أئمة الباطل على باطلهم! بل ويرتكبون أبشع الجرائم بحجة أن لا طاقة لهم على ممانعة ساداتهم وكبرائهم. وهنا يصف (جل وعلا) حال هؤلاء وخيبتهم حين يلاقون ربهم يوم الحساب، فيتبرأ منهم سادتهم وهم في الخسران سواء: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (٥).

﴿(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٦).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٧)، ويستمر العرض القرآني لمشاهد الآخرة والمآل الذي يؤول إليه من استضعفوا وأصبحوا طوع أمر الجبابرة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨).

اتباع الظن لا يغني عن الحق

إن هنالك من تغلب عليهم عبوديتهم لظنونهم، فتختلق لهم مخيلاتهم الأوهام التي ترمي بهم يمنة ويسرة، فلا تنفع معهم المواعظ ولا يجدي معهم النصح، وهكذا كان حال المشركين وقد تعرض القرآن لهؤلاء ممن ابتدعوا لهم أوثاناً ومنحوها صفة الإلوهية ظناً منهم بأنها تقربهم إلى الله زلفى! فمنهم من كان يعبد إلهاً من حجر، ومنهم من يعبد إلهاً من تمر يأكله إذا ما أضره الجوع خفية، وليس لديه مشكلة في أن يأكل ما يعبد، فللضرورة أحكامها كما يقال! ومنهم من يعبد إلهاً من ذهب كهيئة العجل كما فعل قوم من بني إسرائيل، وليس ذلك إلا ظناً تغلّب على عقولهم ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

عبادة الهوى بدلاً من عبادة الله!

يشير القران الكريم في جانبٍ آخر إلى مخاطر اتّباع الهوى والركون إلى ميول النفس وشهواتها، تلك النفس الآمارة بالسوء ﴿.. إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (٩)، فالانجرار وراء هوى النفس فيه تحلل من القيم والثوابت والأمر لا يقتصر على الكافر والمشرك، فقد يكون هنالك من هو مسلم إلا أن إسلامه لم يغير فيه شيئاً، فهو ناطق به بلسانه، وكافر ومشرك بقلبه، بسبب ما يعتلج به صدره من الغواية واتباع الهوى ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (١٠)، فتجده في الوقت الذي تتعارض فيه طاعة الله وأحكامه مع رغباته وهوى نفسه، يضع إيمانه وعقيدته وما يأمره به الله من أحكام جانباً متخذاً ما عداهما من هوى نفسه إلهاً يعبده من دون الله تعالى! ومن يكون كذلك يصدق فيه قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١١).

وهنا تصور لنا الآية كيف أن اتباع الهوى والرغبات فيه تعطيل للحواس، فهو يعطل السمع والبصر ويميت القلب، فهو يسمع الحقائق ويرى الشواهد بأم عينيه ويحس بها إلا يمر بها وكأنه لم يسمع ولم ير شيئاً!

دعواهم أوهن من بيت العنكبوت

يمضي الخطاب القرآني في تسفيه ما يتعكز به المتعكزون على حجج واهية طغت على طبيعة تفكيرهم وقيدوا بها أنفسهم وعقولهم، وهي أوهن من بيت العنكبوت، فارتكازهم على ما كان عليه آباؤهم من معتقدات لا يعفيهم من واجب العودة إلى عقولهم والتفكر في سفاهة ما كانوا عليه من الضلال ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (١٢)، وقوله تعالى في موطن آخر ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾، ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (١٣)، ويذكرهم سبحانه بأن حجتهم باتباع آبائهم لا قيمة لها ولا قيمة لآبائهم الذين لا علم لهم ولا هداية، وإنما (فاقد الشيء لا يعطيه)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ وهكذا فإن مصيرهم سيكون كمصير من سبقهم على الضلالة ﴿..وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ (١٤) .

آخر القول..

إن ما تم عرضه ليس إلا محطات قرآنية يسيرة نبصر من خلالها رحمة الله الواسعة ولطفه بعباده، فهو لا يرجو لهم إلا السعادة في الدارين وأن يعيشوا أحراراً في دنياهم، أحراراً في طبيعة تفكيرهم، وفي التفريق بين ما يضرهم وما ينفعهم، وما التوفيق إلا من عند الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

٣ سورة الفرقان، الآية ٤٤.
٤ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٤، ص٣٦.
٥ سورة الأحزاب، الآية ٦٧.
٦ سورة البقرة، الآية ١٦٦ .
٧ سورة البقرة ، الآية ١٦٧.
٨ سورة سبأ، الآية ٣٣.
٩ سورة يوسف، الآية ٥٣.
١٠ سورة الفرقان، الآية ٤٣.
١١ سورة الجاثية، الآية ٢٣.
١٢ سورة الزخرف، الآية ٢٢.
١٣ سورة الصافات، الآيتان (٦٩-٧٠).
١٤ سورة هود، الآية ١٠٩.

الأمثال في القرآن

◆ الشيخ طه حافظ خميس

لا غـــرو أنَّ الأمثال القرآنية جـــاءت لتقريب المعنى، وتوضيح الـــذي يلتبس على النـــاس فهمه. وللمثل القرآني أهـــداف وغايات. وقد ورد في الأثر الحث على التدبر فيها. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (كتـــاب ربكم فيكـــم، مبيناً حلالـــه وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناســـخه ومنســـوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعـــبره وأمثاله). (١)

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (١/ ٢٥).

المثل في اللغة والاصطلاح

لغةً

مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره. والمثل والمثال: في معنى واحد. وربما قالوا مثيل كشبيه والجمع أمثال[١]. والأمثال جمع مثل، والمثل والمثل والمثيل: كالشبه والشبه والشبيه لفظاً ومعنىً[٢].

اصطلاحاً

لم يتهيأ للمثل مصطلح جامع مانع وذلك بسبب إطلاق اللفظ على أنماط عديدة متباينة من التعبير. فالأمثال هي الحكمة الناتجة عن خبرة الحياة اليومية والنظرة الصائبة في مجرياتها، مع التعبير عن ذلك بطريق غير مباشر ثم ذكر سماتها العامة المميزة لها، وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه[٣]. والمثل في القرآن الكريم: هو ابراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس سواء كان تشبيهاً أو قولاً مرسلاً[٤].

١- ينظر: التحقيق في كلمات القران الكريم، الشيخ حسن المصطفوي (١١/٢٣).
٢- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، ص١٩٧.
٣- ينظر: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر فياض العلواني، ص٢٥.
٤- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، ص١٩٧.

الأمثال القرآنية

الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الذهن، والغرض من المثل تشبيه الخفيِّ بالجليِّ والغائب بالشاهد[٥]. وقد دلّت الآيات القرآنية على وجود الأمثال في ثنايا المصحف الكريم. قال الإمام الباقر عليه السلام: (نزل القرآن على أربعة أرباع : ربْعٌ فينا، وربْعٌ في عدونا، وربْعٌ في فرائض وأحكام، وربْعٌ سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن)[٦]، إلاّ أنَّها ليست الأمثال المعبرة لمناسبات اقتضت التكلم بها. ثم تداولوها عبر الزمان في الوقائع والحوادث التي تكون على شاكلتها أو على غرارها، كما هو الحال في الأمثال العامة. بل إنَّ الأمثال في الآيات القرآنية لها أهداف وغايات. وقد تقترن لفظة المثل بلفظ الضرب فيها، قال تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾[٧]. وقد يخلو منهما، لكن تجري الآية مجرى المثل، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ...﴾[٨]، وذلك مَثَلٌ لحيرة الذي تخلفوا عن غزوة تبوك، فلم تسعهم الأرض، رغم سعتها، فلم يجدوا مكاناً يستقرون فيه فتهدأ نفوسهم، لشدة حيرتهم والنظر في عاقبة أمرهم. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، إلى غير ذلك.

٥- الأمثال في القران الكريم، الشيخ جعفر سبحاني، ص٥٦.
٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي (٨٩/١١٤).
٧- سورة محمد: الآية ٣.
٨- سورة التوبة: الآية ١١٨.

فالأمثال في القران جاءت من الله تعالى تسهيلاً منه للفهم والادراك ولسهولة الوصول إلى المعاني، لعلهم يتذكرون، ويتفكرون، ويعبرون، فضلاً عن التربية القرآنية العالية لكل إنسان يتقبل الهدى والصلاح.

وكما عرف عن القرآن أنه حي لا يموت تجري أحكامه وأمثاله ومفاهيمه في جميع الأزمان والعصور. وإن كان قد نزلت آياته في وقت وعصر معينين إلا إن أحكامه جارية في كل عصر وزمان، وقد تحدث القرآن الكريم عن الأحداث والوقائع وضرب الأمثال بروح التربية والتزكية والهداية، فكما إن مصاديقها في عصر النزول، له مصاديق في العصور الأخرى، وضرب الأمثال في القرآن لقضايا أو سنن أو أعمال تتشابه مع أحوال الأفراد والجماعات، ليفهم الناس من خلالها كيف يتعاملون معها ويقيسوا كل ما شابهها على مرّ الزمان. ولا يخفى على الجميع أن ضرب الأمثال في القرآن الكريم من أساليب الصياغة الفنية الرائعة، الدالة على إعجاز القرآن في إبراز المعاني في قالب حسن يقربها إلى الإفهام، وفي صورة حية تستقر في الأذهان وذلك بتشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير.

قف إنها بجلالها الآيات

◆ شعر: سعيد عطية

قِـــفْ إنّهـــا بجلالِهـــا الآيـــاتُ ... فيهـــا هـــدىً .. وســـكينةٌ .. وثباتُ

رتِّـــلْ وجوّدْ مـــا اســـتطعتَ حروفَها ... وابسِـــطْ فـــؤادَكَ إنّهـــا النفحاتُ

هـــذا الكتـــابُ فُقْم به متخشـــعاً ... متدبـــراً تصفـــو هنـــاكَ عِظـــاتُ

هذا هـــو الوحـــيُ المنـــزّلُ لا دجىً ... يبقـــى لديـــهِ، ولا تُـــرى ظلمـــاتُ

نَـــزَل الأمـــينُ عـــلى الأمينِ بـــهِ فلا ... شرفٌ أجـــلُّ لأنـــه الكلمـــاتُ

وصـــلْ بربِّـــك .. لا يقـــومُ إزاءَهُ ... وصـــلٌ ولا تتصـــدعُ .. اللبنـــاتُ

وصـــلٌ نقيمُ عـــلى ضفـــافِ نعيمِهِ ... وتَطِيْـــبُ في أفـــقِ النعيـــم حيـــاةُ

ويطيـــبُ قلـــبٌ بالتـــلاوةِ حـــاضرٌ ... ويطيـــبُ عيـــشٌ عندَهـــا ومماتُ

إنـــي لأغبِـــطُ في هنـــاءَةِ مؤمـــنٍ ... قلبـــاً تحـــرّكُ جانبيـــهِ صـــلاةُ

وتـــلاوةٌ مجلـــوةٌ بخشـــوعِها ... وتدبـــرٌ تُهمـــي بـــه العـــبراتُ

هـــذا الكمـــالُ إذا أُريـــدَ بلوغُـــهُ ... هـــذي النجـــاةُ إذا أُريـــدَ نجـــاةُ

هذي هـــيَ الآيـــاتُ فافقَـــهْ كُنْهَها ... وبحُســـنِ فقهِـــكَ تنجـــلي الآياتُ

هـــذي النفـــوسُ زكيـــةٌ ريانـــةٌ ... هـــذي الوجوهُ مـــنَ الهدى نَـــضِرَاتُ

شـــيخٌ عليهِ مِـــنَ الوقـــارِ وضاءَةٌ ... وفتـــىً يـــذوبُ تخشـــعاً وفتـــاةُ

هـــذي المواكـــبُ في الطريـــق يحثُّها ... وَعْـــدٌ .. وتحفِـــزُ ســـعيَها الغُرُفاتُ

تتـــوارثُ الهـــديَ المطهـــرَ ماهـــراً ... عـــن ماهـــرٍ تزكـــو بهـــا الخلواتُ

وتُقيـــمُ في ســـفرٍ طويـــلٍ لا تـــرى ... منهـــا فتـــوراً أو يعيـــقُ ســـباتُ

يـــا قـــارئَ القـــرآنِ حســـبُكَ أنَّهُ ... شرفٌ، بـــهِ تتعاظـــمُ الحســـناتُ

ورســـالةُ قدســـيةٌ ونجابـــةٌ ... ومهابـــةٌ .. تعلـــو بهـــا الدرجاتُ

فانعْـــم بـــهِ عْـــزاً، وخُـــذْ بضيائِهِ ... قبســـاً تنـــيرُ لأجلِـــهِ الفلـــواتُ

واغنـــمْ بـــهِ أجـــراً وقربـــةَ عارفٍ ... باللـــهِ تحفـــظُ ســـعيَهُ القرباتُ

واجعـــلْ مقامَـــكَ في الحيـــاةِ لغايةٍ ... تســـمو بهـــا أمـــمٌ وتـــشرُفُ ذاتُ

ويـــرى القريـــبُ أو البعيـــدُ مآثراً ... لـــمْ تصـــفْ لـــولا هـــذهِ الآيـــاتْ

لا يبلـــغُ العـــزَّ المتـــينَ مقـــصّرٌ ... أبـــداً ولا يُهـــدى الســـبيلَ غفـــاةُ

وتـــرى الليـــاليَ والشـــهورَ تمرُّ في ... لذّاتِنـــا، لا تنقـــضي اللّـــذاتُ

والعمـــرُ لو تـــدرونَ ليـــس دقائقاً ... تُقـــضى بهـــنَّ رغائـــبٌ خَـــضِرَاتُ

لكّنـــهُ الإنجـــازُ يُتقِـــنُ فنَّـــهُ ... مَنْ ليـــسَ تربِـــكُ خطـــوَهُ النزواتُ

والمجـــدُ أنْ تهـــوي لربِّكَ ســـاجداً ... متذلـــلاً تزكـــو بِـــكَ العرصـــاتُ

وتبـــثَّ مـــن والَـــوْكَ حلـــوَ ولايةٍ ... فيها مـــن الخُلُـــقِ الرفيـــعِ صفاتُ

هـــذا هـــو الديـــنُ القويـــمُ وهذِهِ ... غاياتُـــهُ، لـــو تُفهـــمُ الغايـــاتُ

دعوة للمغفرة

◆ ضرغام محمد علي

نحن نعرف بأن حياتنا الدنيوية قصيرة المدى ومحدودة بزمن مُعين، مقارنة بالحياة الأبدية التي تعتبر من اللامحدوديات، فحينما نفكر بكل لحظة من لحظات عمرنا نجد بأننا فرطنا بشكل فضيع بتلك الساعات الذهبية التي كانت كفُرص متاحة لنا، كما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام: «يا بن آدم! إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود، والكافر يتمتع»[1]، أي من الأفضل لنا ان نفكر بجد في تحويل هذا الوقت المهدور الى منفعة أبدية، كمثل قراءة آية كريمة أو التفقه في الدين ودراسة العلوم الدينية يقول تعالى ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2] أو مساعدة شخص قدر المستطاع أو الانشغال بذكر الله تعالى وعبادته، حيث لا تبقى دقيقة من حياتنا إلا واستثمرناها لحياتنا الباقية.

وكما ذُكر في قول إمامنا الحسن عليه السلام، بأنه منذُ بداية نزولك من بطن أمك فأن الحياة هي مشروع عبادي وعملي لنفع النفس وخدمة المجتمع، أي يجب أن تستثمرها لفعل الخير لنا وللآخرين.

إن العاقل دائماً يُحب أن يقتدي بالصالحين والناجحين، لأنها الطريقة المُثلى نحو العبادة، ففي كثير من الأحيان نسمع أو نقرأ آيات الله تعالى والتي هي بمثابة نداء منه سبحانه وتعالى الى قلوبنا لتهدينا الى سبيل النجاة وغفران الذنوب، ولكن يجب أن يكون الانسان أهلاً لأن يستحق غفران ألله سبحانه من خلال الاستعداد للعمل للصالح وترك الذنوب، وعدم العودة الى إلى ممارسة الذنوب والخطايا بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3]، ولو تأملنا في الآية الكريمة لوجدناها دعوة للمغفرة والعبادة واتباع طريق الحق، والتحذير من الغفلة والانجرار وراء الخطيئة؛ لأن العذاب يأتي بغتة – يعني فجأة – إذن فلا نغفل ونترك هذه الفسحة والرحمة الإلهية، خاصةً لو انتبهنا إلى بداية الآية الكريمة أن الله سبحانه يصف المسرفين في الذنوب بقوله (يا عبادي) فهي لطف منه ورحمة كبيرة وهو أرحم الراحمين، وأن الله قادر على أن يعفو عن الذنوب جميعاً وأنه غفور رحيم، وكما جاء في كتاب تفسير النور[4] بأنهُ « ليس المراد من القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بأن يقدم الانسان على المعصية ويقول إن الله يغفر الذنوب، بل المراد إنّ المذنبين مهما كان عددهم كبيراً فإن العفو الإلهيّ يشملهم، ولا ينبغي أن يدخل اليأس من رحمة الله تعالى إلى قلوبهم، فمن البديهي ان يكون نيل وطلب الرحمة من الله تعالى هو عن طريق التوبة وتدارك الذنب»، فلا طريق للنجاة إلا بالعودة إلى الله تعالى، فهنالك نماذج للذين عملوا الذنوب قد غفر الله لهم، كما يحدثنا القرآن عن السحرة الذين كانوا يطيعون فرعون وواجهوا النبي موسى عليه السلام في دعوته، ولكن عندما عرفوا الحق تابوا وتحملوا عذاب فرعون الذي صلبهم وقطّع أعظائهم، وقد ورد في دعاء الحزين من الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: (إِنْ كُنْتَ رَحِمْتَ مِثْلِي فَارْحَمْنِي, وَإِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ مِثْلِي فَاقْبَلْنَي, يا قَابِلَ السِّحَرَةِ اَقْبِلْنِي) فعلينا أن نعي رحمة ربنا ونستثمرها كما أسلفنا في التوبة والخلاص من النار ودخول الجنة.

١- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، (٢٣٩٨/٣).
٢- سورة التوبة، آية ١٢٢.
٣- سورة الزمر، آية ٥٣- ٥٤- ٥٥.
٤- تفسير النور، محسن قراءتي، (١٥٦/٨).

غربة أهل الحق

> قبول الحق والتسليم له مطلقاً وإجراءه ولو على النفس أمر ليس بالهين، ولا هو مستساغ عند كل أحد، إلا من كانت عنده أهلية التمرد على حب الذات ، وجهاد النفس بالترويض لقبول الذي لها وعليها.

ولا بد أن يكون عنده الاستعداد لتحمّل الوزر والثقل الذي يحمله أهل العفو والعدل نتيجة ما يقومون به من القسط في جميع المواقف ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [1] وهؤلاء دائما ما يجدون أنفسهم في عزلة وغربة، يسيرون وحدهم لا يؤنسهم إلا الحق في وحشة الطريق، للدواعي والأسباب التي سوف نذكرها الأول منها هو نفرة الناس منهم لتشددهم بحرفية تطبيق الحق على أنفسهم وغيرهم، فهؤلاء لا يعيرون اهتماماً للاعتبارات والمجاملات عندما يتعلق الأمر بمسألة تطبيق الحق والعدل، ويتغاضون عن مصالحهم ومصالح أقربائهم إذا كانت تتقاطع مع إحقاق الحق ونشر العدل بين الناس، يقول أمير المؤمنين في وصف عزلته لكونه مع الحق والحق معه : (ما ترك لي الحق من صاحب)، وفي قول أبي ذر كفاية هذا المعنى (ما زال بي الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى ما ترك لي الحق صديقاً) [2]، والسبب الثاني لتهيب الناس من سلوك طريق الحق ما دام وعراً محفوفاً بكلفة النفس ومشقة وصعوبة المهمة، فالحق ثقيل لا تحتمله النفوس لا سيما المريضة منها التي اتبعت الشهوات والنزوات أو تلك التي جرى طبعها على الدعة والراحة وأخلدت إلى الأرض، لأجل ذلك فهي لا تسلك سبيله، والسبب الثالث هو استعداء النفوس للحق لأنها تراه يخالف هواها، ففي كثير من الأحيان لا يتوافق الحق مع أهوائها الزائغة وميولها الباطلة ويحول بينها وبين ما تشتهيه، وتبعاً لذلك لا تتآلف معه بل تصل هذه المنافرة حد الكره، وهذه نتيجة طبيعية ومتوقعة فكلما أوغلت النفوس في طريقها مبتعدة عن الحق تزاحمت عندها الشهوات والنزوات وأصبحت كالأخلاط السامة التي لا تتركها إلا معلولة بعلة الكره للحق، ومتى ما كرهته كرهت أهله وجانبتهم، ولو كانوا أنبياء قال تعالى: ﴿بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ [3].

والسبب الرابع هو إن بعض الناس كانوا على طبيعة التقليد الأعمى وهؤلاء يتوجسون خيفةً من كل جديد أو من كل ما يدعو إلى التغيير وينفرون منه، باعتباره يخالف ما ألفوا، وما وجدوا عيه آباءهم وأسلافهم ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [4]، ومثل هؤلاء عادةً ما يقدسون آباءهم ويتتبعون آثارهم ﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [5] متمسكين بما وجدوهم عليه محسنين الظن بهم، وأن ما كانوا عليه هو الحق المبين، من غير أن يبحثوا في كون آباؤهم على الحق أم لا، ومقتضى الحكمة عندهم السير على خطاهم، حتى بلغ بهم التقليد درجة أنهم لا تجد لديهم الاستعداد لتقبل الحق وإن عرفوه وتبينوه ما دام يخالف ما ألفوه وإن كان ما جاءهم من الحق ظاهراً بيّناً في أمر صلاحهم وصلاح حالهم.

والسبب الخامس كرههم للحق جاء بسبب جهلهم به، ومن جهل شيئاً عاداه والناس أعداء ما جهلوا، قال اللّه تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [6] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [7] فأكثرهم لا يعلمون إنه الحق ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [8] وإلا لا أحد ذي مسكة وصحة عقل يكره الحق، باستثناء صنفان من الناس صنف المعاندين المكابرين الذين يظنون أن اتباع الحق يذهب برئاستهم ومصالحهم، ويذهب بأسباب تسيدهم على أتباعهم، وهو ما لا يألفه وضعهم الاجتماعي أو نظرتهم لأنفسهم، فهم يعلمون أن الحق لا يترك لهم أي امتياز يمتازون به عن غيرهم، ألا ترى قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾ وأما الصنف الثاني فهم العبيد الاتباع وهؤلاء قد عرفوه وإن كانوا لا يكرهوه في خبيئتهم، لأنهم يعلمون أن الحق هو أكثر شيء ينصفهم ويخرجهم من غياهب الظلم الذي يعيشون تحت وطئته، لكنهم اتبعوا أسيادهم بالكره الظاهر لما خافوهم أو طمعوا بما عندهم.

السبب السادس هو أن معظم الناس تتملكهم نزعة عدم الحياد فإذا لم يكن مع فهو ضد، والباطل وأهله ومن تخندق في خندقه لا يقفون على التل يتفرجون، بل يتابعون أهل الحق وينازعونهم ويطاردونهم، ولا يطيقون رؤية الحق يعيش بسلام، ولا رؤية أهل الحق يخرجون من سلطة الطاغوت، فلا يتركونهم إلا أن يتركوا الحق ﴿قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾، فالمعركة مفروضة على الحق وأهل الحق، والكره قائم ما دام الحق يدعو أصحابه لنزع رداء العبودية للطواغيت.

١- سورة النساء، الآية ١٣٥.
٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٢/٢٩٣).
٣- سورة المؤمنون، الآية ٧٠.
٤- سورة البقرة، الآية ١٧٠.
٥- سورة الزخرف، الآية ٢٣.
٦- سورة يونس، الآية ٣٩.
٧- سورة الأحقاف، الآية ١١.
٨- سورة الحج، الآية ٧١.

إضاءات فيها ومنها

سورة النصر

◆ الشيخ قاسم الخفاجي

تسمية السورة

المشهور عند المسلمين أن اسمها سورة النصر، وورد في الروايات أيضاً سورة ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ لأن هذه الآية مفتتح السورة، ومن أسمائها سورة (التوديع) لأنها تتضمن خبر وفاة النبي ﷺ، وورد تسميتها بسورة (النعي)[1]؛ لرواية للطبراني من حديث ابن عباس: (لما نزلت إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال النبي ﷺ: نعيت إلي نفسي..)[2]

مكان نزولها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

السورة مدنيّة وهي سبعة وتسعون حرفاً، وست عشرة كلمة، وثلاث آيات[3]. بلا خلاف بين المسلمين، والاختلاف حصل في وقت نزولها، فقد ورد فيه آراء منها؛ أنها نزلت عند منصرف النبي من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين[4].

وورد أنها نزلت بعد (صلح الحديبية) في السنة السادسة للهجرة، وقبل عامين من فتح مكة[5].

وورد أنها نزلت في أوسط أيام التشريق بمنى في حجة الوداع[6]، وعاش بعدها ثمانين يوماً أو نحوها ﷺ[7]. ولكن يؤخذ على هذا الرأي أن جو السورة فيه عهد من الله أن النصر والفتح سيكون للنبي ﷺ، وتخبر عن حادثة ترتبط بالمستقبل لا بالماضي، وهذا المعنى لا ينسجم مع ما ذُكر أنها نزلت في حجة الوداع.

ترتيب نزولها

وهي آخر سورة كاملة نزلت على قول ابن عباس[8] بعد سورة التوبة، نعم نزلت آيات كثيرة بعدها مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ وإن قول ابن عباس أن آخر سورة نزلت هي هذه السورة لا يعني أنها آخر القرآن نزولاً .. كسورة كاملة، أما كآيات فقد نزل حتماً بعدها[9].

يقول عبد الكريم الخطيب: كانت تتنزل آيات الله بالزاد الذي تحتاج إليه كل مرحلة.. حتى كانت آخر آية نزلت من كتاب الله، كانت الدعوة قد بلغت غايتها.. فنزل قوله تعالى: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ﴾.. مؤذناً بمصافحة السماء للأرض.. ثم كانت آية الختام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾[10].

١- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للشيخ محمد الصادقي (١٥/ ٥٢٩).
٢ - المعجم الأوسط (١/ ٣٩٩)، المعجم الكبير (٢٢/ ٤١٥).
٣ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي (١٠/ ٣١٤).
٤ - البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (١٠/ ٥٦٢).
٥ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (٢٠/ ٥٢٠).
٦ - تفسير القمي لعلي بن إبراهيم (٢/ ٤٤٦)، الجديد في تفسير القرآن المجيد الشيخ محمد السبزواري النجفي (٧/ ٤٢٨).
٧ - البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (١٠/ ٥٦٢).
٨ - السنن الكبرى للنسائي(٦/ ٥٢٥)، الأساس في التفسير لسعيد حوي (١١/ ٦٧٣٢)، التمهيد في علوم القرآن لمعرفة (٦/ ٢٠٦).
٩ - الأساس في التفسير لسعيد حوي (١١/ ٦٧٣٢)، الجديد في تفسير القرآن المجيد الشيخ محمد السبزواري النجفي (٧/ ٤٢٨).
١٠ - التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٦٤١).

شرح كلمات السورة:

إذا ظرف شرطيّ، لما يستقبل من الزمان.. وهذا يعني أن ما بعدها لم يتحقق بعد.

قال الشيخ الطوسي في معنى (النصر، والفتح، والدين، والفوج): النصر المعونة على العدو للظهور عليه، لأن المعونة قد تكون بالمال على نوائب الزمان، وقد تكون على العدو، وهي النصر دون المعونة الأخرى.

والفتح الفرج الذي يمكن معه الدخول في الأمر بملك العدو الناصب للحرب، وقد يكون الفرج بالفرق فقط، فلا يكون الفتح بذهاب العدو الذي صار علماً على هذا المعنى.

دين الله يعني في طاعة الله وطاعتك؛ من الإسلام والتزام الأحكام واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به.

وأصل الدين الجزاء. ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء، كما قال (فِي دِينِ الْمَلِكِ)[11] أي في طاعته. والفوج جماعة من جماعة، والأفواج جماعات من جماعات. وهكذا كان الناس يدخلون في الدين جماعة بعد جماعة، من جملة القبيلة حتى يتكامل اسلام الجميع[12].

المعنى العام

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ لقد كانت للنبي الأقدس فتوح بعد الهجرة، ليست معنيّة هنا إلا أعظمها وأهمها، كأنه الفتح ليس إلا، وإنه فتح مكة المكرمة، إذ لم يكن دخول الناس في دين الله أفواجاً إلا عنده لا سواه، ولذلك سمّي فتح الفتوح.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

فهل إنهم كل الناس؟ هذا خلاف الواقع الملموس، وإن كان يوافق عموم اللفظ! أو إنهم الذين عرفوا الدعوة فحقّ لهم أن يصدقوها؟ فكذلك الأمر، أو إنهم المؤمنون فحسب؟ وهذا لا يلائم عموم اللفظ (الناس). أقول: رباط الدخول في الإسلام بالفتح يوحي أنهم الذين عرفوا الإسلام ثم كملت معرفتهم بالفتح، بما إنه كان من ملاحم الغيب، وقد صدق به وعد الله.

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾

إن الداخلين في الإسلام حينذاك كانوا بين مشرك لم يكن في دين الله، وبين كتابي لم يكن يلتزم بدين الله، إذ إن الإسلام لله والتسليم له يقتضي رفض السابق وإن كانت من شريعة الله، والاعتناق باللاحق بما أمر الله، فـ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ولا معنى للإسلام بعد نزول شريعة القرآن إلا اعتناقه ورفض ما سواه، مهما كانت من الشرائع السابقة.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

هنا يتحدد شأن الرسول الأقدس ﷺ ومن معه، بإزاء تكريم الله لهم، وإكرامهم بتحقيق نصره على أيديهم: أن شأنه ومن معه هو الاتجاه إلى الله، أن يسبحوا الله بحمده ويستغفروه في لحظة الانتصار.

التسبيح بالحمد على ما أولاهم من منّه أن جعلهم أمناء على دعوته، حراساً لدينه، وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحه على رسوله، ودخول الناس أفواجاً في هذا الخير الفائض العميم، بعد العمى والضلال والخسران القديم.

التسبيح بالحمد، لا التسبيح والحمد، كلّ على حدة، ولا كلّ دون سواه، لأن التسبيح يعني الناحية السلبية من صفات الله تعالى، والحمد: الناحية الإيجابية.. فبما إنه [جلّ وعلا] خارج عن الحدين حد الإبطال وحد التشبيه علينا أن نسبحه بحمده.

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ لا عصيان في ساحة النبوة القدسية حتى يكون الاستغفار عنه، ولا يختص الاستغفار بحالة العصيان لكي نضطر إلى التأويل، فإنما الاستغفار من الغفر وهو الستر، فهو التماس الغفر والستر، إما عن عار وعورة العصيان، والنبي معصوم عن العصيان! وإما عما سواه من ملابسات لا يخلو عنها أي إنسان؛ من التقصير أو القصور في حمد الله وشكره، فجهد الإنسان -مهما كان- ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ فمن هذا التقصير يكون الاستغفار، وإن كان من القصور الذاتي، دون عصيان الرسول الأقدس ﷺ كما يقول: (ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك).

[أو] الاستغفار لملابسات نفسية كثيرة دقيقة لطيفة المدخل؛ من الزهو الذي قد يساور القلب، أو يتدسس اليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء، وهو مدخل يصعب توقّيه في القلب البشري . . . وقد غفر الله له حين الفتح هذا الزهو وستره عليه . . فتراه إذ يدخل مكة فاتحاً منتصراً، مكة التي آذته وأخرجته وحاربته ووقفت في طريق الدعوة تلك الوقفة العنيدة.. تراه يدخلها منحنياً لله شاكراً على ظهر دابته، ناسياً فرحة النصر وزهوته، عفوّاً رحيماً لا ينتقم.. فالمغفرة هنا تضمن عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين.

[أو] الاستغفار بمعنى الدفع عن حملة العصيان، لا رفعه بعد وقوعه، كما المغفر في الحرب لأجل الدفع عما ربما يوجه إلى الجندي من الأخطار، كذلك الرسول الفاتح علّه يحمله ما نقموا منه على الانتقام، وهو مسموح له اعتداء بالمثل، إلا أن موقف الرسالة يجب أن يكون موقف الرحمة للعالمين، فليستغفر الرسول ربه حالة الفتح، لكي يسدده عن حملة الانتقام ويغفر له ما يحمله على ذلك.

[أو] الاستغفار علّه هنا للمؤمنين الفاتحين، إذ النص (وَاسْتَغْفِرْهُ) لا (استغفره لذنبك).

[أو] واستغفاره عن ذنبه وغفران الله له عن ذنبه كما في آية الفتح، لا يعني إلا الحفاظ عليه من بأس المشركين، فإن الذنب لغوياً هو الذي يستفظع عقباه، فإن كانت عقبى الدنيا فالذنب من أفضل الطاعات، وإن كانت عقبى الآخرة فالذنب من أشر المعاصي، ولقد غفر الله تعالى ذنب الرسول؛ عقبى الدنيا الهاجمة عليه من قبل المشركين، غفره له بفتح مكة، إذ لم يجرؤ المشركون بعد ذلك أن يؤذوه أو يقاتلوه.

فضل قراءة السورة

عن رسول لله ﷺ قال: من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة.

وعن الإمام الصادق ﷺ قال: من قرأ إذا جاء نصر الله والفتح في نافلة أو فريضة نصره الله على جميع أعدائه، وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق، قد أخرجه الله من جوف قبره، فيه أمان من حر جهنم[13].

---

١١ - سورة يوسف، الآية ٧٦.

١٢ - التبيان في تفسير القرآن (١٠/ ٤٢٥).

١٣- مجمع البيان، للشيخ الطبرسي (١٠/ ٤٦٦).

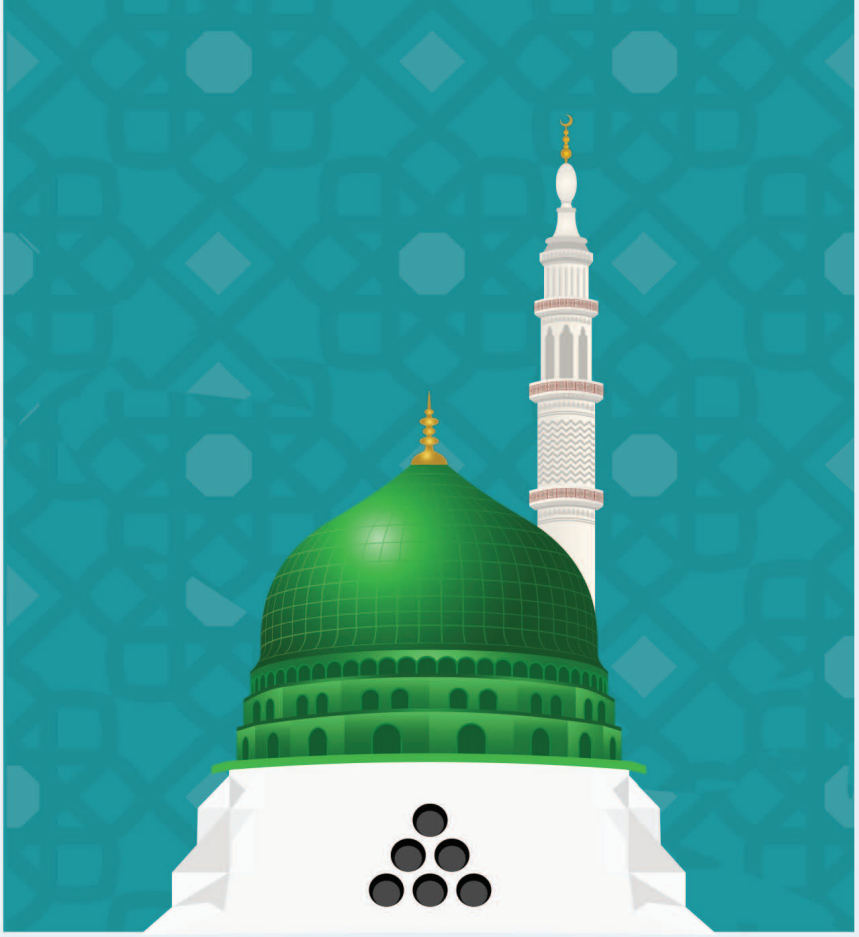

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .. أين أمة محمد!!..

◆ كوثر العزاوي

حقيقة الخُلُق: ما يأخذ به الإنسان لنفسه من الآداب، وإنما سمّيَ خُلُقًا لأنه يصير كالخِلقة فيه، فالخُلُق هو الطبع المكتسب. وقيل: الخُلُق العظيم الصبر على الحق، وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة، وتحمّل المكاره في الدعاء إلى الله سبحانه والتجاوز والعفو، وبذل الجهد في نصرة المؤمنين، وترك الحسد والحرص ونحو ذلك.

لقد حاز نبيّ الرحمة محمد ﷺ كلّ مكارم الخلق العظيم وأعلاه، فهو الشخصية العظيمة الذي اجتباه الله تعالى بالنبوة والفضل، واعتلى المكرمات، فكان بصفاته الحميدة مضرب الأمثال، صادقًا أمينًا إذ عُرف بذلك بين أبناء قومه قبل بعثته الشريفة، كما عرّفه الله عز وجل بعد بعثته نبيًا حين اصطفاه بالرسالة نجيًا، فكلفه مهمة هداية البشرية في ذلك المجتمع الجاهليّ بكل ما فيه من عادات ومعتقدات خاطئة وتصرفات بالية. فكان دوره عظيمًا شاقًا لاحتواء ذلك الكمّ الهائل من التخلف والعدوانية عبر حواره الصريح ومنطقه الواضح، بهدف الإصلاح والهداية إلى ما فيه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولا بد لنا من استلهام الدروس والعبر من سيرة النبي ﷺ ولعل أقرب سبل الوصول إلى ذلك هو التأمل بما جاء في القرآن الكريم من رسم الخطة التربوية لسائر البشر والأخذ بها منهجًا للحياة كما جاء في قوله (عز وجل):

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

في سياق الآية المباركة ندرك ضرورة اعتماد توجيه الله في تقديم مسألة تزكية النفس حسب المنهج الرّباني على مسألة التعلم والتعليم للقيم السماوية من جهة، وضرورة الحكمة ووضع الأشياء في مواضعها من جهة أخرى، ومثل هذا التوالي في التربية والتأديب في منهج الله تعالى لعباده، محال أن يأتي من فراغ! وقد نفهم من ذلك، أنّ من السهل أن يكون الإنسان عالمًا عارفًا ولكن في خطواته العملية وممارساته اليومية لا يعمل بالمنهج العقلي وبمنهج العلم الذي تَعلّم، أو قد لا يضع الأمور في مواضعها الملائمة، لأن الحكمة غائبة عنه على نحو التطبيق العملي مما يُفقِد العمل قيمته ومصداقه، فمن هنا يبيّن ربّ العالمين دور رسوله الأعظم في المجتمع باستهلال تكليفه بتزكية الأنفس وتربية الذات ثم يأتي التعليم والتعلّم. فقد يكون الإنسان عالمًا مثقفًا، بيد أنه لم يربِّ نفسه وفق تعاليم السماء ولم يعتمد أخلاق الله! فمِثلُ هذا النموذج لا يستطيع أن يؤدي دورًا إيجابيًا مؤثرًا في المجتمع الذي يُعوَّل عليه، أو قد يستخدِم العلم بضررِ نفسه وضرر الآخرين، فمَثَله مَثَلُ ذلك العَالِم الذي اخترع القنبلة الذرية فأبادَ بعِلمه مئات الآلاف من البشر ضحايا نتيجة عدم الحكمة وغياب القيم!!

ومن هنا نفهم: أن تزكية النفس وتربية الذات قبل التعلّم هما مرحلة أساسية مهمة ولهما الأثر الكبير في نماء المجتمع. ومما يؤسف له أننا، وفي مثل زماننا هذا، يفتقد العالَم جانب التربية في كثير من مفاصل الحياة العملية. فكم من العلماء وحملة الشهادات ممن تميّزت شخصياتهم بالدناءة وانحطاط المستوى الأخلاقي وضآلة الفِكر أثناء الحوارات ومعالجة الأوضاع السياسية ونقد الظواهر الاجتماعية ما تعكس غياب الخُلُق الحسن، والتخبط واضمحلال المنطق، ليثبت حقيقة الابتعاد عن قيم السماء على نحو التطبيق، كما يؤكد أيضا فقدان وعي الانتماء إلى نبيّ الإسلام ﷺ.

وقد أوصى الله عباده باتّباعهِ قولًا وفعلًا، إذ لا يكفي مجرد الايمان وهو القائل سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[2]

فمن ادّعى انتماءه الى رسول الله لا بد له من دراسة سيرة أتباع النبيّ والخلّص من أصحابه، وكيف امتثلوا وتأسوا بشخصية نبيّهم وتربيتِهِ الإلهية وأدبهِ السماوي الرفيع، أمثال أبي ذر وعمار وسلمان والمقداد وغيرهم، حتى وصلوا إلى أعلى المقامات وأسمى الدرجات، وبلغ بهم ذلك حدّ التفاني والفناء في سبيل الحق! فمن يكون الله تعالى له مربيًا ومؤدبًا سيكون الكمال رفيقًا له ومحيطاً به، ولو كره الكافرون.

١- سورة الجمعة، الآية ٢.

٢- سورة الأحزاب، الآية ٢١.

مذكرات

◆ زينب حسين

كتب مبعثرة وأوراق متناثرة ورفوف مغبرة وأقلام يائسة خطت بمدادها حروف متعرجة، تروي أحداثاً مؤثرة لقلوب منكسرة، كتبت أحزانها في مذكرات ملؤها العَبرة وتنقصها العِبرة.

وقعت إحدى الدفاتر على الأرض بينما كنت أنظف مكتب زوجي وتطايرت أوراقه، فسارعت لألملمها وإذا بي أقرأ ما كتبت أنامله من مذكرات:

مرّت عليّ سنة مشؤومة، أيامها أمرّ من الحنظل، ولياليها حالكة مظلمة باردة. ففي أول فجر لها اختطفت مني حبيبي ومؤنسي وفلذة كبدي الوحيد، وجعلتني أعاني لوعة الأب الفاقد، وأذرف دموعاً بل دماً على فراقه، ليسقط والدي العزيز في الشارع بعد ساعات من الخبر على أثر هذه الصدمة العنيفة صريعاً حتى فاضت روحه إلى السماء لاحقة بروح حفيده الغالي.

لقد رحلا عني وتركاني مكسور الجناحين أتلظى بين نارين، وأنحب على مصيبتين، وأنوح على حبيبين، دفنتهما بيديّ هاتين في أول أيام هذه السنة المنحوسة.

بقيت بعدهما أصارع بين ألم الفقد والحزن على مرض زوجتي الخطير، إذ اكتشفنا بعد تلك الفواجع أنها تعاني من مرض خطير، وهذا ما أهاج لوعتي وأثار خوفي من فقدها هي أيضاً ومفارقتها لي في أصعب الظروف، يا لتلك الأيام الحالكة التي مرّت بي وأظلمت حياتي.

أما عملي ذو الدخل العالي فقد خسرته في السنة ذاتها لتنهال عليّ الضربات من كل جانب ولا أدري أي المصائب أصارع وعلى أيها أتغلب وأقارع، فكلها غلبتني وحاصرتني وأنا أشعر بأنني وحيد تلازمني الدمعة وتخنقني العَبرة ويعصف الألم بجسدي النحيل.

ستبقى هذه السنة عالقة في ذاكرتي وسأسميها سنة المصائب المفجعة.

انهالت دموعي وأنا أقرأ مذكراته التي أطبقت عليها لأكتب مذكراتي في السنة ذاتها وأضعها نصب عينه:

لقد عشت في سنة محفوفة بالمصاعب، لكنها مليئة بالرحمات الإلهية والألطاف الخفية التي هونت علينا تلك الأزمات، وجعلتنا نصبر على مرارتها كما علمنا الباري عز وجل، إذ قال في محكم كتابه: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّه﴾[1]، ففي طلوع أول فجر لها تلقينا خبر استشهاد ابني الحبيب، ورغم حزني على فراقه وحرقة قلبي على رحيله، إلا إنني تذكرت الآية الكريمة التي تبشرنا بمنزلته العظيمة عند الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]، فتصبرت بها وكفكفت دموعي الحارقة ورفعت رأسي عالياً وأطلقت الزغاريد لأنني أصبحت أم الشهيد، فأين أنا من صبر أم الشهداء أم البنين عليها السلام وتقديمها أبنائها الأربعة فداءً للإمام الحسين عليه السلام.

وبالكاد التقطت أنفاسي حتى جاءنا خبر المفجع بعد ساعات بموت عمي (والد زوجي)، فخارت قواي من الصدمتين وقلت ما هذه المصائب التي توالت علينا فجأة؟ لكنني تمالكت نفسي واستغفرت الله تعالى ورددت: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، وتساءلت: أين نحن من صبر السيدة زينب عليها السلام التي فقدت كل أهلها وأعزاءها في يوم واحد وبقيت صابرة قوية الإيمان رابطة الجأش، وتذكرت كلمات عمي الأخيرة قبل أن يخرج قائلاً: (سأذهب مع السائرين نحو ضريح الإمام الحسين عليه السلام في ذكرى الأربعينية المباركة وسأزور نيابة عنكم وأدعو لكم يا أحبائي البارين بأن يحفظكم ويرعاكم ويُعلي شأنكم، فأسألكم أن تدعو لي بحسن العاقبة وبراءة الذمة).

لقد جاءته المنية وهو في طريقه إلى سيد الشهداء عليه السلام، وتحققت أمنيته بحسن الخاتمة، فالحمد لله تعالى ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

بقيت بعد تلك الأحزان أتصبر وأحدث نفسي بالصبر حتى تهالكت قواي فجأة، وتغلغل الضعف في جسدي لأكتشف بأنني على موعد مع الموت. إنه المرض الخبيث الذي يقتل الإنسان ببطء، فاحتسبت ذلك عند الله تعالى وصبرت على مرارة الألم والعلاج بالمواد الكيميائية الحارقة، وبالغت في شكر الله سبحانه لأن الأطباء كشفوا المرض مبكراً، وبحمده ومنّه استطعت التغلب عليه والشفاء منه بشكل نهائي.

وبعد شهور، فاجأني زوجي في يوم عصيب بخبر فصله من عمله بعد أن أجبروه أن يتعامل بالمال الحرام ولكنه رفض، لنبقى من دون مال يعيلنا ويسدّ رمقنا، فجرت على لساني الآية الكريمة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾[3]، فوقعت ساجدة لله تعالى شكراً لأنه جنبنا أكل مال الحرام رغم ما عشناه من الحرمان والفاقة، ليجزينا ربنا بعد صبرنا بحصول زوجي على عمل آخر، ولو براتب قليل، ولكنه حلال ومبارك.

كل هذه النعم حدثت لنا في ذلك العام المليء بالرحمات الإلهية والرعاية الربانية، إذ كافأنا الباري بصبرنا وأحبنا بقوله سبحانه: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[4]، وبشرنا بآياته: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[5]، لذلك سأسمي هذه السنة سنة الصبر والظفر.

١- سورة النحل، الآية: ١٢٧.
٢- سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
٣- سورة البقرة، الآية: ١٥٥
٤- سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
٥- سورة البقرة، الآيات: ١٥٥- ١٥٧.

ثورة التوحيد

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿أَم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[1].

الاية من سورة الكهف وقد اشتملت هذه السورة على أربع قصص؛ كل قصة تحكي نوعاً خاصاً من تقابل الفتنة والهداية وتوضح تفاوت درجات الإيمان بين أبطالها.

١- سورة الكهف: الاية ٩.

الرؤية الأولى
في رحاب سورة الكهف

اشتمالها على أربع قصص تدور حول محور واحد سورة مكية عدد آياتها (١١٠) آية. هذه السورة اشتملت على أربع قصص؛ كل قصة تحكي نوعاً خاصاً من الهداية، وتوضح قوة الإيمان وصلابة أبطالها. فالأولى: قصة أصحاب الكهف. والثانية: قصة صاحب الجنتين، والثالثة: قصة نبي الله موسى عليه السلام. والرابعة: قصة ذي القرنين. ترتبط هذه القصص الأربع بمحور واحد ألا وهو الفتنة. فأصحاب الكهف فتنتهم الدين، حيث إنهم أنكروا ديانة قومهم في عبادة الأصنام والأوثان من دون الله. قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً..﴾[1] وفتنة المال تبنتها قصة الرجلين؛ أحدهما صاحب الجنتين. قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[2].

١- سورة الكهف: الآية ١٥
٢- سورة الكهف: الاية ٣٤.

وفتنة العلم في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح[3]، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[4]. وفتنة السلطة والحكومة في قصة ذي القرنين، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾[5].

قصة أصحاب الكهف

سميت هذه السورة باسم الكهف الذي لجأ إليه فتية هذه القصة، وذلك ليتخفوا فيه عن أعين طاغية زمانهم وجلاوزته، هروباً بدينهم، مستعينين بالله ومتوكلين عليه، وتركوا مراتبهم ومنازلهم الدنيوية في سبيل الحفاظ على عقيدتهم في توحيد الله ونفي الشرك عنه تعالى. ولذلك أنزل الله تعالى عليهم السكينة وأنجاهم مما يحذرون، وخصّهم برحمته وجعلهم آية للعالمين. ثم إن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز قصتهم لتكون عبرة لأولي الالباب، وأن الله تعالى قادر على كل شيء قدير، وأن معيته عز وجل مع المؤمنين، وأنه تعالى جعل من نومهم الطويل – لمدة قرون-المعجزة التي يتأملها أصحاب البصيرة والسداد.

ويمكن ان نقول أن قصة أصحاب الكهف فيها من الدروس والعبر ما يمكن أن نجمله بالآتي:

- توحيد الله عز وجل غاية الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين.
- هداية وزراء[6] الملك الظالم ديقيانوس وقادته إلى توحيد الله تعالى جاءت موافقة للفطرة السليمة الهادية إلى سبيل النجاة في معرفة الحق واتباعه، والتوكل على الله في كل الأحوال. فإنهم تركوا الدنيا المترفة الواسعة

٣- ذهب المفسرون على أنه الخضر عليه السلام.
٤- سورة الكهف: الايتان ٦٥-٦٦.
٥- سورة الكهف: الآيتان ٨٣-٨٤.

٦- من أولاد العلماء اتخذ الملك ثلاثة منهم وزراء وهم تمليخا ومكسلمينا ومجسلينا وكانوا يجلسون على يمين مجلسه أما الثلاثة الباقون كان مجلسهم يسار مجلسة وهم مرنوس و وديرنوس و شاذرنوس وكان يستشيرهم في جميع أموره. (إرشاد القلوب، الديلمي) (٢/ ٢٦١).

والتي كانت سجناً لأرواحهم وفضّلوا العيش في كهف مظلم سراجه نور الإيمان والتوحيد والقيم السامية.

❖ السعادة والقرب الإلهي يُنال بالصبر والثبات على العقيدة الحقة والالتزام بالدين الحنيف وإن أصحاب الكهف تميزوا بالفرار بعقيدتهم ودينهم من قومهم لعبادتهم الأصنام والأوثان. ومن الضروري أن نعرف أن الثبات على الدين من أعظم الأمور وأكثرها جهاداً ومقارعة للنزعات الإنسانية والعوائق المصطنعة من أهل الباطل. ولذا يكون صاحب المبادئ الحقة غريباً بقيمه ومبادئه فيحتاج إلى الصبر والثبات.

❖ المعجز في نومهم العميق في الكهف الذي امتد إلى قرون وإيقاظهم.

❖ بناء المسجد على أصحاب الكهف بعد موتهم. وهذا يؤكد إباحة إقامة المساجد على قبور الأولياء والصالحين ومشروعيتها.

الرؤية الثانية
في رحاب كربلاء

في مراجعة تاريخية إلى واقع الحكومات التي أعقبت حكومة الإمام علي عليه السلام نجد مؤشراً يشير الى انحرافات عن مبادئ الإسلام وعقائده وشرائعه، والذهاب بالأمة الإسلامية إلى مباني واسس قيصرية وكسروية، سلبتها مبادئها وقيمها. واتجه الحكام إلى قتل القيم السامية والنبيلة التي جاء بها الإسلام ورسالته السماوية. وعندما وصلت النوبة إلى يزيد بن معاوية (لعنه الله) واعتلى كرسي الرئاسة بلغ الانحراف أقصى مداه، وعمّ الجور والظلم البلاد، وطمست معالم الهداية والسداد، وساد الفساد عموم مفاصل الدولة الإسلامية. وقوضت الهوية الإسلامية، واستبدلت بهويات تتصارع من أجل الوصول إلى السلطة والتسلط على رقاب المسلمين والعبث في مقدراتهم. لذا كان لا بد للإمام الحسين عليه السلام من نهوض ووقوف بوجه هذا الانحراف والجاهلية المقنعة، والشروع في إصلاح المجتمع المسلم وإعادة الأمة الى مسارها الطبيعي، وإبراز هوية الإسلام الاصيلة التي رسمها الإسلام ورسالته. لقد أحدثت الثورة الحسينية انعطافة كبيرة في تاريخ الأمة الإسلامية ومسيرتها، واستفاقة في العقول والأفكار، ولم يقتصر أثرها على تاريخ وقوعها، بل امتّد إلى كل العصور وحتى يومنا هذا. وكذلك عطاؤها مستمر ودائم، فهي السراج الذي ينير درب الثائرين والمصلحين، وغذاء الأصول الإسلامية وفروعها حتى ازهرت وترعرعت ببركة تلك الدماء الزكية الطاهرة التي أبيحت على صعيد كربلاء، وفي الوقت نفسه هي المعول الذي يهدم عروش الطغاة والمتكبرين.

ومن ثورة الإمام الحسين عليه السلام نستلهم الدروس والعبر التي يمكن أن نجملها بالآتي:

❖ أصبح صاحب الثورة وقائدها الإمام الحسين عليه السلام مخلداً تؤمه الملايين سنوياً لتستلهم منه روح العزة والاستقامة والصمود.

❖ صيانة الدين والحفاظ على أهداف الرسالة الإسلامية.

❖ الصبر والثبات على المبادئ والقيم الإنسانية التي قامت من أجلها ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

❖ رفض الباطل وصده ولو بتقديم أغلى التضحيات.

❖ خلدت الثورة الحسينية ودام عطاؤها واستمر أثرها.

الرؤية الثالثة

يظهر واضحاً من خلال قراءة سورة الكهف والتعرف على أصحاب الكهف أنّ هناك امر غير عادي وخارجاً عن نطاق القوانين الطبيعة، أي إن هناك معجزة رافقت أصحاب الكهف وهذه المعجزة هي النوم العميق، ويقظة بعد ثلاثمائة وتسعة سنين دون تغير في الأجساد والأشكال.

الرؤية الرابعة

في ثورة الإمام الحسين عليه السلام حدث المعجز الأكبر، وذلك عندما تكلم الرأس الشريف وتلا بعض الآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿أَم حَسِبْت أَن أَصْحاب الْكَهْف والرَّقِيم كانُوا مِن آياتِنا عَجَباً﴾[٧].

(روي عن زيد بن أرقم[٨] قال: مرّ بي وهو على رمح طويل وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ أَم حَسِبْت أَن أَصْحاب الْكَهْف والرَّقِيم كانُوا مِن آياتِنا عَجَباً. فقلت: رأسك واللّه يا ابن رسول اللّه أعجب وأعجب)[٩].

الرؤية الخامسة

عند النظر بتأمل إلى أصحاب الكهف وثورتهم التوحيدية والنظر إلى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وثورته العقائدية نجد أن طريق الحق تحفه الموانع والصعوبات، ومن الصعب أن يتمكن الإنسان من الولوج في هذا الطريق، ومن العسير الوصول إلى غاياته وتحقيق الأهداف المتوخاة من دون لطف الله تعالى وعنايته؛ ولذا إن الله تعالى أكبر وأعظم من أن يترك أصحاب الرسالات الإنسانية الحقة في طريق الحق وحدهم، ولو بخرق قوانين الطبيعية، فإنه قادر على كل شيء قدير. هذا من جهة، وزمن جهة أخرى، إن أصحاب الكهف كانت تضحياتهم مادية حيث تركهم زخارف الدنيا وحطامها. أما الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فقد قدموا الغالي والنفيس من الأمور المادية والمعنوية، فإنهم تركوا الأهل والديار والأموال، والمناصب والمراتب بل قدموا الدماء والأرواح من أجل إظهار الحق وأبوا الركون إلى الباطل وأهله.

والنتيجة لا عجب لأمر الله تعالى. وإذا تكلم رأس النبي يحيى بن زكريا عليه السلام بعد القطع لإظهار الحق ونبذ الباطل، فان رأس الإمام الحسين عليه السلام لأعظم بياناً في إنكار الباطل وإظهار الحق وإنه أنار دروب الثائرين بشعلة الثبات على المبادئ وكان زيتها تلك الدماء الطاهرة التي أريقت لتوري جذور الإنسانية والرسالة السماوية الهادفة لإنقاذ البشرية جمعاء.

٧- سورة الكهف، الآية ٩.

٨- زيد بن أرقم الخزرجي الانصاري: صحابي. غزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع الامام علي عليه السلام، ومات بالكوفة. الاعلام، خير الدين الزركلي: (٣/٥٦).

٩ إعلام الورى في أعلام الهدى، الطبرسي (١/٤٧٣).

عقيدة في آية

﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾

إن من صفاته سبحانه كونه مستوياً على عرشه. وقد جاء هذا الوصف في كثير من الآيات، فقد ورد لفظ العرش في الذكر الحكيم اثنين وعشرين مرة. كما ورد لفظ (عرشه) مرة واحدة، والكل راجع إلى عرشه سبحانه إلا آية واحدة وهي قوله سبحانه: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾. كما ورد الاستواء اثني عشرة مرة، وهي ما عدا ثلاث آيات راجعة إلى استوائه سبحانه على العرش.

وقد ادعى أهل الحديث وتبعهم الأشعري أن الآيات ظاهرة في أن له سبحانه عرشاً وأنه مستو عليه، غير أن الكيف مجهول. وقد أخذ المشبهة بما ادعاه أهل الحديث من الظاهر من دون القول بكون الكيف مجهولاً.

وقد أثارت هذه المسألة في الأوساط الإسلامية ضجيجاً وعجيجاً بالغين بين الصفاتية والمؤولة. ونحن نقول، لو أن الباحثين أمعنوا النظر في هذه الآيات مجردين عن كل ما يحملونه من العقائد الموروثة، لوقفوا على مفادها، وأنها لا تهدف إلى ما عليه الصفاتية من أن له سبحانه عرشاً وسريراً ذا قوائم، موضوعاً على السماء، والله جالس عليه، والكيف إما معلوم أو مجهول. ولا على ما عليه المؤولة من تأويل الآية بمعنى حاجة الآية إلى حملها على خلاف ظاهرها، بل القرائن الموجودة في بعض هذه الآيات تضفي على الآية ظهوراً في المعنى المراد

من دون مسّ بكرامة التنزيه ولا تعمد وتعمل في التأويل، فالآيات لا تحتاج إلى التأويل أي حملها على معان ليست الآيات ظاهرة فيها. لا شك إن العرش بمعناه الحرفي معلوم لكل أحد بلا شبهة.

قال ابن فارس: عرش: العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك. من ذلك العرش، قال الخليل العرش: سرير الملك. وهذا صحيح، قال الله تعالى: (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ). ثم استعير ذلك، فقيل لأمر الرجل وقوامه: عرش. وإذا زال عنه قيل: ثل عرشه. قال زهير:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

كما إن الاستواء معلوم لغة، فإنه التمكن والاستيلاء التام. قال الراغب في مفرداته: واستوى يقال على وجهين: أحدهما يسند إليه فاعلان فصاعداً. نحو: استوى زيد وعمرو في كذا، أي تساويا. وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ﴾. والثاني أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته نحو: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾، ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾. ومتى عدي بـ(على) اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

والذي نركز عليه هو أن الاستواء في الآية ليس ظاهراً في معنى الجلوس والاعتماد على الشيء، بل المراد هو الاستيلاء والتمكن التام، كناية عن سعة قدرته وتدبيره.

وقد استعمل الاستيلاء قال الشاعر في هذا المعنى:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقول الشاعر في البيت على العدو ليس العلو ها هنا علواً حسياً بل معنوياً.

ولو أخذنا بالمعنى الحرفي للعرش، كما هو المتبادر من قوله سبحانه: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، فيجب أن نقول إن لله سبحانه عرشاً، كعروش الملوك والسلاطين. وعند ذلك يتمحض المراد من استوائه عليه، بالجلوس عليه متمكناً.

أما لو نبذنا هذا المعنى، وقلنا بأن المراد من الظاهر هو الظهور التصديقي. وهو المتبادر من مجموع الآية بعد الإمعان في القرائن الحافة بتلك الجملة، يكون المراد من الآية هو الكناية عن استيلائه على ملكه في الدنيا والآخرة وتدبيره من دون استعانة بأحد.

والجمل الواردة في كثير من الآيات الحاكية عن استوائه على العرش تدل أن المراد هو الثاني دون الأول، وتثبت بأن المقصود بيان قيامه بتدبير الأمر قياماً ينبسط على كل ما دق وجل، وأنه سبحانه كما هو الخالق فهو المدبر أيضاً.

وقد استعان لتبيين سعة تدبيره الذي لا يقف على حقيقته أحد بتشبيه المعقول بالمحسوس وهو تدبير الملوك والسلاطين ملكهم متكئين على عروشهم والوزراء محيطون بهم. غير أن تدبيرهم تدبير تشريعي وتقنيني وتدبيره سبحانه تدبير تكويني.

ويدل على أن المراد هو ذلك أمران:

الأمر الأول: إنه سبحانه قد أتى بذكر التدبير في كثير من الآيات بعد القول باستيلائه على العرش. فذكر لفظ التدبير تارة، ومصداقه وحقيقته أخرى.

أما ما جاء فيه التدبير بلفظه، فقوله سبحانه:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾.

ففي الآية الأولى يرتب سبحانه التدبير على قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ليكون المعنى استوى على عرش التدبير. كما إنه في الآية الثانية بعد ما يذكر قسماً من التدبير، وهو تسخير الشمس والقمر، يعطي ضابطة كلية لأمر التدبير ويقول: ﴿وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾. وعلى غرار الآية الأولى، الآية الثالثة.

وأما ما جاءت فيه الإشارة إلى حقيقة التدبير من دون تسميته فمثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ الآية إشارة إلى حقيقة التدبير وبيان نماذج منه، ثم أتبعه ببيان ضابطة كلية وقال: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ أي إليه يرجع الخلق والإيجاد وأمر التدبير.

وقسْ على هاتين الطائفتين سائر الآيات. ففي الكل إلماع إلى أمر التدبير إما بلفظه أو ببيان مصاديقه، حتى قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. فالعرش في هذه الآية هو عرش التدبير وإدارة شؤون الملك يوم لا ملك إلا ملكه. قال تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ﴾.

فهذه الآيات تعبر عن معنى واحد وهو تصوير سيطرة حكمه تعالى في ذلك اليوم الرهيب. قال سبحانه: ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾. فالمتدبر في هذه الآيات يقف على أنها تهدف إلى حقيقة واحدة وهي أن خلق السماوات والأرض، لم يعجزه عن إدارة الأمور وتدبيرها، وأما جلوسه على العرش بمعناه الحرفي فليس بمراد قطعاً.

الأمر الثاني: إنه قد جاء لفظ الاستواء على العرش في سبع آيات مقترناً بذكر فعل من أفعاله وهو رفع السماوات بغير عمد، أو خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام أو ما يشبه ذلك. فإن ذاك قرينة على أن المراد منه ليس هو الاستواء المكاني، بل الاستيلاء والسيطرة على العالم كله. فكما لا شريك له في الخلق والإيجاد، لا شريك له أيضاً في الملك والسلطة. ولأجل ذلك يحصر التدبير بنفسه، كما يحصر الخلق بها ويقول: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

١- الإلهيات، الشيخ سبحاني (١/ ٢٣١-٢٣٦).

جهاد الكلمة

◆ غفران كامل كريم

استعرض القرآن الكريم في مبرم خطابه المجيد احتجاج نبي الله إبراهيم عليه السلام على النمرود، حيث عمد الخليل عليه السلام إلى استنطاق الوجدان الإنساني ومحاولة فتح المنافذ لخلق الفكرة في الذات الإنسانية، وتحريك الضمير، وتعبيد الطريق من أجل بيان المسار الصحيح من خلال قوة المحاجة، فلا يبقى للمعاند سوى الالتفات إلى نداء الوجدان ليرى الحقيقة ساطعة أمامه سطوع الشمس في رائعة النهار.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

قال الملك لإبراهيم: من ربك هذا؟ قال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت.

قال له الملك: أنا أُحي وأميت، فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟

قال: أعمد إلى رجلين ممن وجب القتل لهما، فأطلق أحدهما وأعفو عنه، وأقتل الآخر، فأكون قد أمت وأحييت.

فقال إبراهيم: إن كنت صادقاً فأحيي الذي قتلته.

ثم قال إبراهيم عليه السلام: يا هذا فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب، فبهت الذي كفر وانقطع عن الاحتجاج)[2].

تكشف لنا محاجة إبراهيم الخليل عليه السلام مع طاغية زمانه النمرود حقيقة شياطين الحكم وسلاطين الظلم، بأنهم هؤلاء غالباً ما يكونون من طبقة الجهال الذين لا يفقهون شيئاً أو من طبقة المكابرين المعاندين الذين تأخذهم العزة بالإثم، ولا يبدون للمنطق حساباً ولا وزناً. تحدى نبي الله إبراهيم الخليل النمرود علناً واعتمدَ على بديهيات العقل والمرتكزات الفطرية وأساليب البرهان البديهي والاستدلال المنطقي السليم، مما جعل النمرود يبهت وينهار أمام قوة الحجة التي امتلكها إبراهيم الخليل عليه السلام وبعد أن خذل النمرود انتماءه المادي والعصبيات التي تملكته والأفكار التي هيمنت عليه، فكشف الحوار الذي دار بين إبراهيم الخليل عليه السلام والنمرود عن عجز الأخير وسفاهة فكره.

وعند استعراض سيرة الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام نرى أنه عليه السلام نهج النهج ذاته، فكان موقفه واضحاً من السلطة السياسية، فقد احتج عليه السلام على هارون الرشيد عند قبر النبي صلى الله عليه وآله بأنه أحق بالخلافة وأولى بالنبي صلى الله عليه وآله وأنه أحد أسباطه ووريثه الشرعي.

١- سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

٢ ـ تفسير القمي، القمي،ص٧٦.

وذلك حينما (زار هارون قبر النبي ﷺ وقد احتف به الوجوه والأشراف وقادة الجيش وكبار الموظفين في الدولة. وقد أقبل بوجهه على الضريح المقدس وسلّم على النبي قائلاً: السلام عليك يا ابن العم.

وقد اعتز بذلك على من سواه وافتخر على غيره برحمه الماسة من النبي ﷺ، وأنه إنما نال الخلافة لقربه من الرسول ﷺ وكان الإمام-آنذاك-حاضراً فسلّم على النبي ﷺ قائلاً: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبه)[٣].

فقد الرشيد صوابه حينها واستولت عليه موجات من الاستياء حيث قد سبقه الإمام إلى ذلك المجد والفخر فاندفع قائلاً بنبرات تقطر غضباً: (لم قلت إنك أقرب إلى رسول الله ﷺ منا؟)، فأجابه عليه السلام بجواب لم يتمكن الرشيد من الرد عليه أو المناقشة فيه قائلاً: (لو بُعث رسول الله ﷺ حياً وخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه إلى ذلك؟).

فقال هارون: سبحان الله، وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم.

فانبرى الإمام عليه السلام مبيناً له الوجه في قربه من النبي ﷺ دونه قائلاً: (لكنه لا يخطب مني ولا أزوجه لأنه ولدنا ولم يلدكم فلذلك نحن أقرب إليه منكم)[٤]. وأراد عليه السلام أن يدعم قوله ببرهان آخر فقال لهارون: (هل يجوز له أن يدخل على حرمك وهن مكشفات؟)، فقال هارون: لا، فقال الإمام عليه السلام: (لكن له أن يدخل على حرمي وكان يجوز له..)[٥]، فأفحم الإمام عليه السلام بقوة حجيته هارون الرشيد.

الإمام عليه السلام لم يماش هارون أو غيره من طواغيت الحكم، ولم يتسامح معهم فكان موقفه معهم صريحاً واضحاً، فأسقط الأقنعة الزائفة عنهم أمام الملأ.

كما ذكر المؤرخون: إن الإمام عليه السلام دخل على هارون الرشيد في بعض قصوره المشيدة الجميلة التي لم ير مثلها في بغداد ولا في غيرها، فانبرى إليه هارون قائلاً: ما هذا الدار؟، فأجابه الإمام غير معتنٍ بسلطانه وجبروته، قائلاً له: هذا دار الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[٦]، سرت الرعدة في جسم هارون، واستولت عليه موجة من الاستياء.

فقال للإمام: دار من هي؟، قال عليه السلام: هي لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة.

قال: ما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

قال عليه السلام: أخذت منه عامرة، ولا يأخذها إلا معمورة.

قال: أين شيعتك؟ فتلا الإمام قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[٧]، فثار هارون وقال بصوت يقطر غضباً، أنحن كفار؟ قال عليه السلام: لا ولكن كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[٨] ـ[٩].

فكان احتجاج نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام واحتجاج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على الطواغيت هو حلقة من الحلقات المترابطة والتي ندرسها في جهاد الأنبياء والأوصياء، جهاد من نوع خاص، إنه جهاد كلمة الحق في حضرة السلطان الجائر، وهو أمضى وأشد فتكاً في كثير من الأحيان من جهاد السيف.

٣- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ج١٣، ص٣١.
٤- بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٨، ص١٢٧-١٢٨.
٥- نثر الدر، الابي، ج١، ص٢٤٨.
٦- سورة الأعراف: الآية ١٤٦.
٧- سورة البينة: الآية ١.
٨- سورة إبراهيم: الآية ٢٨.
٩- الاختصاص، المفيد، ص٢٥٤.

القــــرآن...

منطق الإمام الحسين عليه السلام في نهضة كربلاء

◆ د. عمَّار الخزاعي

يمتلك القرآن الكريم قدسيَّةً عظمى في نفوس المسلمين على اختلاف توجهاتهم الفكرية ومناهلهم المعرفيَّة، وعندما تُقرأ آياته على ملأ ما تجد الأسماع تخشع خاضعةً لتراتيل آياته. وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الإله العظيم الذي أنزله على روح الأمين؛ ليكون آيات هدايةٍ وسبيل النجاة من الغيّ إلى الرشاد. ومن هنا صار المتكلمون يحاولون جاهدين إلى استحضار آيات القرآن في كلامهم بمقاصد شتّى، منها: مقاصد جماليَّة يبتغي فيها المتكلِّم من استحضار آيات الذكر الحكيم رفع قيمة كلامه وإضاءة محتواه بنور الذكر المبين، فيسعى إلى تنميق كلامه وتزويقه برونق القرآن وحلاوته، ومنها مقاصد حجاجيَّة يبتغي من ورائها المتكلم إقناع خصومه بأحقيَّة مدَّعاه ومطلبه، وكلَّما استنجد المتكلِّم بالآيات القرآنية وأحسن في توظيفها كان كلامه أشدَّ وطأةً وأكثر تأثيرًا.

وبعد هذه المقدِّمة الوجيزة، نريد أن نسير بوجهةِ الحديث إلى صوب الإمام الحسين بن علي عليه السلام فنستحضر كلامه في يوم عاشوراء لنرى مديات حضور القرآن الكريم في كلامه في ذلك اليوم العصيب، وعندما نتفحَّص حديثه الذي نقلته كتب التأريخ نجده مليئًا بالآيات القرآنيَّة، وكأنَّه لا يتكلَّم إلَّا قرآنًا أو لا يريدُ الحديث إلَّا بالقرآن الكريم. فهو كان دائم الاستحضار للذكر الحكيم في كلِّ معتركات معركة الطفّ، وسنعمل على استحضار بعضٍ من تلك المواضع التي كان للقرآن الكريم فيها سطوةٌ في كلام الإمام الحسين عليه السلام، فهو قد افتتح ثورته بالقرآن الكريم، فنراه عندما خرج من المدينة كان يُرتِّل: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا

يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]، ولزم الطريق الأعظم... ولمَّا دخل الحسين ﷺ مكة، كان دخوله إياها يوم الجمعة، لثلاث مضين من شعبان، دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[2][3]، وهنا نجد أنَّ الإمام الحسين ﷺ ابتدأ رحلته الإصلاحيَّة بالقرآن الكريم مستحضرًا قصَّة نبي الله موسى ﷺ عندما عارضه قومه وحاربه طاغية عصره الفرعون. ومن المواضع المهمَّة أيضًا ما قاله ﷺ لجيش بني أميَّة: (﴿أَيُّهَا النَّاسُ، اسمعوا قولي، وَلا تعجلوني حَتَّى أعظكم بِمَا لحق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عَلَيْكُمْ، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النصف، كنتم بِذَلِكَ أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾[4]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[5])، وقوله ﷺ لجيش بني أميَّة أيضًا: ((لا وَاللَّهِ لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، وَلا أقر إقرار العبيد عباد اللَّه، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[6])[7] وممَّا حاجج الإمام الحسين ﷺ به جيش الغادرين من عبيد بني أميَّة: ((وإن لم تقبلوا منِّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[8]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[9])[10]، وعندما صُرع مسلم بن عوسجة الأسدي ذهب إليه الإمام الحسين ﷺ وقال عنده: ((رحمك ربك يَا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[11])[12].

وتستمر قضيَّة الاستشهاد بالقرآن الكريم بعد مقتل الحسين ﷺ مع ولده السَّجاد ﷺ، وذلك بعدما انتهت معركة الطفّ وأُخذت عائلة الحسين ﷺ أسارى وسبايا لابن زياد (لعنه الله). وهناك ((عُرض عَلَيْهِ عَلِيّ بن الْحُسَيْن فَقَالَ لَهُ: مَا اسمك؟ قَالَ: أنا عَلِيّ بن الْحُسَيْن، قال: أو لم يقتل اللَّه عَلِيّ بن الْحُسَيْن! فسكت، فَقَالَ لَهُ ابن زياد: مَا لك لا تتكلم! قَالَ: قَدْ كَانَ لي أخ يقال لَهُ أَيْضًا علي، فقتله الناس، قَالَ: إن اللَّه قَدْ قتله، قَالَ: فسكت علي، فَقَالَ لَهُ: مَا لك لا تتكلم! قَالَ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[13] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[14])[15]. وفي مجلس يزيد بن معاوية (لعنه الله) في الشام قال يزيد لعلي بن الحسين ﷺ ((يَا علي، أبوك الَّذِي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع اللَّه بِهِ مَا قَدْ رأيت! قَالَ: فَقَالَ علي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[16])[17].

وهكذا كان الحسين ﷺ لسانه القرآن في يوم عاشوراء، فلا يكاد يتكلَّم إلَّا ويستشهد بآيةٍ أو آيتين من الذكر الحكيم، ثمَّ تبعه ولده علي السجاد ﷺ فكان القرآن لسانه أمام الطاغية عبيد الله بن زياد، وكذلك أمام الدَّعي يزيد بن معاوية. وهذا الاستحضار للقرآن الكريم يمكن أن نجد له مقاصد كثيرة، منها: أنَّ الحسين ﷺ أراد أن يبرهن للقوم أنَّه على الحقِّ وأنَّه قرآنٌ ناطقٌ، وكذلك أراد من الاستشهاد بالقرآن الكريم أن يحمِّل كلامه طاقاتٍ قدسيَّةٍ عالية المضامين؛ ليكون أكثر تأثيرًا وإقناعًا في نفوس المتلقين، ومنها أيضًا أنَّ الحسين ﷺ أراد أن ينفي الشبهة التي أوهموا بها العوام من أنَّه ﷺ خارجي خرج على إمام زمانه، فكان يردُّ هذه الشبهة عمليًا عن طريق تمثُّل القرآن الكريم قولاً وفعلًا. وقد أتت هذه الخطوة من الحسين ﷺ أُكلها فأثَّر في جمعٍ كثير من جيش العدو حتَّى لحق به في ليلةٍ واحدة أكثر من ثلاثين فارسًا من جيش بني أميَّة؛ فضلًا عن الحرِّ بن يزيد الرياحي. جعلنا الله تعالى وإيَّاكم من خير المتمسكين بالحسين ﷺ وبمنهجه.

١- سورة القصص، الآية ٢١.
٢- سورة القصص، الآية ٢٢.
٣- بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ): (٤٤/٣٣٢).
٤- سورة يونس، الآية ٧١.
٥- سورة الأعراف، الآية ١٩٦.
٦- سورة غافر، الآية ٢٧.
٧- تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك: (٥/٤٢٥ – ٤٢٦)، نهاية الأرب في فنون الأدب: (٢٠/٤٤٢).
٨- سورة يونس، الآية ٧١.
٩- سورة الأعراف، الآية ١٩٦.
١٠- مقتل الحسين ﷺ، أبو مخنف الأزدي: ١١٦ – ١١٧ ، تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك: ٥/ ٤٢٤ .
١١- سورة الأحزاب ، الآية ٢٣.
١٢- تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك: (٣/١٥٧)، شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: (٣/١٥٧).
١٣- سورة الزمر، الآية ٤٢.
١٤- سورة آل عمران، الآية ١٤٥.
١٥- الإرشاد، الشيخ المفيد: (٢/ ١٢٠).
١٦- سورة الحديد، الآية ٢٢.
١٧- تاريخ الطبري (٤/٣٥٢).

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾

◆ سمير جميل الربيعي

دائماً هناك فسحة من الأمل تتعلق بها النفس البشرية السوية حينما تتعرض لضغطة الظلم والجور، أو تكون تحت ظروف عصيبة وأجواء قاسية مشحونة بالعداء والبغضاء. ومن بديع صنيع الله سبحانه وتعالى حينما خلق النفس السوية، زوَّدها بما يليق بها من الاستعدادات الذوقية لتتلمس وتتحسس موقعها في مراتب الكمال، وجهَّز لها أسباب الوقاية والدفاع إذا ما طرأ عليها طارئ سوء؛ كي تواصل حياتها من دون أن تنكفئ ويكتنفها اليأس فيفقدها شغفها بالحياة.

إنها تعلم أن أية خاطرة من اليأس إذا ما تسللت إليها فسوف تدخلها في دوامة عجيبة بين الشدّ والجذب، بين ما تؤمن به من قيم وأخلاق وما تستهجنه، وبين ما يفرضه عليها دينها، وما يفرضه عليها محيطها المشحون بالمعاصي والخطايا والأهواء الفاسدة، ما ينذر بتشكل حالة ضبابية كثيفة تحيل بينها وبين رؤية الحق والحقيقة بوضوح، ومن ثم قد يؤثر عليها ذلك فيجرها إلى التشكيك بكل القيم التي آمنت بها، وبكل ما عند الله، والأمل المنشود بوقوع الوعد الإلهي القاضي بإتمام النور ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ [1].

من هنا أصبح استحكام وقوع الوعد الإلهي في النفس السوية وحتميته فيه ما فيه من عظيم الفسحة والمندوحة، فهو يمثل لها الأمل الذي يشرق في زواياها المظلمة فيبدد عنها عتمة اليأس، أو هو الادرنالين الذي يمدها بالنشاط الإيماني لمواجهة كل الصعاب.

وبقول آخر إن النفس السوية المعتدلة المتوازنة بفطرتها وطبيعتها تبحث عن الخير في مواطنه وفي مظانّه، وترى أن الأمل فيما عند الله متحقق لثقتها بتحقق الوعد الإلهي ونفاذه ﴿وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [2]، فهي متطلعة له مطمئنة من تحققه. ولما كانت النفس السوية في عين الله وإنها صنيعته والصنع لا ينفصل في وجوده ويستقل بذاته عن الصانع، فهذا يشعرها بالقوة وعدم الضعف والهوان، ويبقيها مرتبطة بخالقها حتى في أحلك الظروف وأشد حالات اليأس ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا﴾ [3]، إذنْ فهي مزودة بالمدد الإلهي الذي يجعلها على طول الخط مستعدة للمواجهة في حرب هي سجال بين الطرفين، وبالوعد الإلهي الحتمي لا بدّ أن تنتهي المعركة لصالح أهل الحق ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [4]، وانتظارها للوعد الإلهي مثل انتظار الربوع لتهاليل الصباح، التي تنتظر منه أن يبدد عنها بوجهه وأساريره الزهر خيوط الظلام ويذهبها أدراج الرياح، ويكشف لها عن يومٍ مشرقٍ جديد. إذنْ فالثقة بما عند الله تملي عليها عناصر الثقة بالمستقبل، المستقبل الذي صانه الله وحفظه وضمنه للمؤمنين المستضعفين في الأرض ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ [5]، وهذا يبشر بأن مآل الأمر وعاقبته ستكون لتسيّد الخط الرسالي وهيمنته ولعملية الإصلاح التي تنتظرها البشرية على يد المصلح الأكبر الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه.

إن تعلق النفس السوية وجدانياً بالوعد الإلهي وبالموعود من قبل الله سبحانه وتعالى، مهما تعرضت لتجارب الظلم والاضطهاد القاسية، ومهما عانت من أدوار الجور وممارساته من قبل الحكومات الظالمة المستبدة، ومهما كدحتها النكبات ، وأهمت بها النوائب ، فأن ذلك لا يثنيها عن عزمها، بل هو عائد عليها بالقوة والصلابة والأهلية الراجحة التي تؤهلها لحمل عنوان مواجهة الظلم والباطل أينما كان، وأن تكون صعبة المراس وعقبة كؤوداً في وجه كل طغاة العالم ، قادرة على الصبر والتضحية والإخلاص لمهمة الإصلاح وتغيير وجه العالم، كحجر الفحم الهش حينما يتعرض لضغط الأرض الهائل، فإنه يتحول إلى حجر الماس، الذي هو أصلب وأثمن حجر على وجه الأرض، وهذه هي حقيقة القوة المختزنة التي قامت عليها دعامة المنتظرين لقدومه الميمون.

إن تلك النفوس السوية المستشرفة لقدوم المصلح الأكبر، قد أودع الله فيها الإرادة القوية، والأحلام الناضجة، والعقول الراجحة التي تكاملت، وبلغ بها تكاملها لتصبح مهيأةً لقبول حكومة العدل الإلهي، وليبلغ بها الحد أن تقبل فيه تلك الموهبة الإلهية بشوق ورغبة وتوق شديد. من هنا نفهم لماذا كان هؤلاء (أصحاب النفوس السوية) بالذات هم محل الوعد الإلهي دون سواهم من الأجيال السابقة والقرون المتعاقبة، وفي ظهرانيهم سوف يظهر حجة الله، وبهم يخوض غمار تحديات الإصلاح، ويعيد مؤشر بوصلة المجد يشير من جديد إلى الإسلام المحمدي الأصيل.

١- سورة التوبة، الآية ٣٣.
٢- سورة يوسف: الآية ٢١.
٣- سورة يوسف، الآية ١١٠.
٤- سورة آل عمران، الآية ١٣٩.
٥- سورة القصص، الآية ٥.

نفحات قرآنية

كفران النعم الإلهيّة

يعد كفران النعم الإلهيّة أحد الذنوب الكبيرة التي يُجازى عليها بعذاب النّار، حيث قال تعالى:

﴿الَم تَرَ الَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَاحَلُّوا قَومَهُم دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَونَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ﴾[1].

وهناك نتائج سيئة كثيرة لكفران النعمة على الصعيد المادي والمعنوي في حياة الإنسان، وإحدى تلك النتائج أنّه يتسبب في زوال النعم، كون أن الباري تبارك وتعالى حكيم، لا يعطي شخصاً شيئاً بدون حساب ولا يسلب أحداً شيئاً بلا مبرر.

(أمّا ما هو المقصود هنا بالنعم الإلهيّة؟ فقد قال جماعة من المفسرين-وانطلاقاً من بعض الروايات الواردة في المصادر الإسلامية-إنّ النعمة هي وجود النبي الكريم ﷺ، ونقرأ في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: (نحن واللّه نعمة اللّه التي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز)[2].

١ـ سورة إبراهيم، الآيتان ٢٨-٢٩.

٢ـ تفسير علي بن إبراهيم (١/ ٣٧١).

لطائف قرآنية

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[1]

من لطائف آيات القرآن الكريم ما نلاحظ في هذه الآية المباركة من سورة البقرة، فهي أقصر آية يَرد فيها لفظ (الرّبا)، كما أنها تحوي ميزات أخرى هي:

- هذه الآية تضمّنت ٧ أحرف مكسورة!
- هذه الآية تضمّنت ٧ أحرف مضمومة!
- هذه الآية تضمّنت ٧ أحرف مشدّدة!
- وقد ورد لفظ (الربا) في القرآن ٧ مرّات!

١ـ سورة البقرة، الآية ٢٧٦.

مصطلحات قرآنية

(حقف) ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾[1]

الأحقاف: رمال مشرفة معوجة واحدها: حقف من احقوقف الشيء أذا أعوج، وقيل: رمال مستطيلة بناحية شجر، وكانت عاد بين جبال مشرفة على البحر بالشجر من بلاد اليمن، وقيل: بين عمان ومهره.

١ـ سورة الاحقاف، الآية ٢١.

هل تعلم

إن كلمة «وليتلطّف» تتوسط كلمة القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى في سورة الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، وحرف «التاء» فيها يتوسط حروفه.

وكلمة (نحن) تشير إلى كل بيت النبي ﷺ، وإن كانت إشارة إلى المعصومين ﷺ فهي تشمل النبي من طريق أولى، وتتضح مدى أهميّة هذه النعمة فيما لو التفتنا إلى حديث الثقلين وماله من مكانة، وعلى أيّة حال فإنّ وجود النبي ﷺ والأئمّة المعصومين ﷺ وإن كان يُعدّ من أكبر النعم الإلهيّة، فلا يمكن حصر مفهوم هذه الآية في هذا النطاق، والظاهر أنّها تضم جميع النعم الإلهيّة الكُبرى.

وقد أشار بعض المفسّرين إلى الكافرين بالنعمة الإلهيّة الكُبرى وقالوا: إنّهم بنو اميّة، أو بنو اميّة وبنو المغيرة، أو عموم الكفّار في عصر النبي ﷺ، ولكن هذا من قبيل ذكر المصداق أيضاً لا من باب الحصر.

وفي جميع الأحوال ينبغي شكر النعم الإلهيّة الكبرى والاستفادة منها ما أمكن وعلى أفضل وجه، وإذا استبدل الشكر بالكفران استوجب عذاب جهنّم[٣])[٤].

٣ـ جاء في تفسير الميزان، هذه الآية فيها تقدير وهو كما يلي: بدّلوا شكر نعمة اللّه كفراً.

٤ـ نفحات قرآنية، ناصر مكارم الشيرازي (١/ ٢٨٣).

تأويل آية

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى﴾[١]

(تأويله: عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى قَالَ: بِالْوَلَايَةِ قُلْتُ وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ إِنَّهُ لَمَّا نَصَبَ النَّبِيُّ ﷺ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لِلنَّاسِ فَقَالَ:

مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اغْتَابَهُ رَجُلٌ وَقَالَ : إِنَّ مُحَمَّداً لَيَدْعُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَمْرٍ جَدِيدٍ وَقَدْ بَدَا لِأَهْلِ بَيْتِهِ يُمَلِّكُهُمْ رِقَابَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِذَلِكَ قُرْآناً فَقَالَ لَهُ قُلْ: إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ فَقَدْ أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا افْتَرَضَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى فَقَالَ أَمَّا مَثْنى يَعْنِي طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَأَمَّا فُرادى يَعْنِي طَاعَةَ الْإِمَامِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَلَا وَاللَّهِ يَا يَعْقُوبُ مَا عَنَى غَيْرَ ذَلِكَ.

وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَ: ﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ﴾ فَقَالَ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام هِيَ الْوَاحِدَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ)[٢]

١ـ سورة سبأ، الآية ٤٦.

٢ـ بحار الانوار، العلامة المجلسي (٢٣/ ٣٩٣).

إذاعة الجوادين

صوت العتبة الكاظمية المقدسة

بغداد FM 89.5

بابل FM 98.1

واسط FM 90.9

البصرة FM 91.1

ذي قار FM 106.7

بإمكانكم المشاركة في برامج إذاعة الجوادين

عبر الاتصال على الأرقام التالية:

٠٧٨٣٣٢٥٤١١٣ - ٠٧٧٠٠٦٢٦٢٩٧